ر شاقـل

العدد
الثاني والتسعون
كانون اول ١٩٨٧

الكاتب ٩٢

للثقافة الانسانية والتقدم

* في البعدين العربي والدولي للنضال الوطني الفلسطيني .

* المجتمع الاسرائيلي والاحتلال ـ مدخل الى نقد المجتمع الاسرائيلي.

* طلبة الجامعة ووقت الفراغ .

* الالتزام في شعر ابراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود .

* الحركة المسرحية في الارض المحتلة.

قراءة في بعض ردود الفعل على تقرير لجنة لنداو

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب

للثقافة الانسانية والتقدم

صاحب الامتياز - المحرر المسؤول
اسعد الاسعد
القدس

AL KATEB
For human culture and progress.
Editor
Asa'd Al-Asa`d
P.O.Box 20489
Jerusalem
Tel.856931

رئيس التحرير

أسعد الاسعد

الاشتراكات :

بالعملة أو ما يعادلها عن سنة واحدة

محليًا ٢٥ دولار

بلدان أخرى ٦٠ دولار

المؤسسات

المحلية ٥٠ دولار

بلدان أخرى ١٠٠ دولار

ترتيب المواد في هذا العدد يخضع لضرورات فنية .
لا ترد المواد لمرسليها اذا لم تنشر .

المراسلات :

الكاتب - ص.ب : ٢٠٤٨٩ القدس

تلفون ٨٥٦٩٣١

Digitized by Birzeit University Library

في دائرة الضوء:

قراءة في بعض ردود الفعل على تقرير لجنة لنداو ١
* عبد المجيد حمدان *

سياسة

في الفكر الشيوعي الفلسطيني ، الشيوعيون وقضايا النضال الوطني في البعدين العربي والدولي للنضال الوطني الفلسطيني. ١٥
* د.ماهر الشريف *

المجتمع الاسرائيلي والاحتلال - مدخل الى نقد المجتمع الاسرائيلي ٢٥
* د.عزمي بشارة*

دراسات اجتماعية

طلبة الجامعات وقضاء وقت الفراغ ٣٩
* ناجح جرار *

مراجعة كتب

الفلسطينيون - ماض وحاضر - هانس ليبرخت ٥١
* حنا عميرة *

نقد ادبي

الالتزام في شعر ابراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود ٥٦
* د.ابراهيم العلم *

شعر

٦٧
° غبار طلعك من دمي
* اسعد الاسعد * ٦٩
°اني سأشرق من دمك
* يوسف حامد *

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

الميلاد
* عمر حمش * ٧١

مسرح

الحركة المسرحية في المناطق المحتلة - وثائق

* جميل السلحوت * ٧٤

اخبار ثقافية ٨٠

رسائل وردود ٨٢

فهرس الكاتب لعام ١٩٨٧ ٨٣

لوحة الغلاف الداخلية

السلام يحمي العالم عن بيبولز ديلي ورلد - الولايات المتحدة الامريكية

لوحة الغلاف الخارجية

(القرية الفلسطينية - مجدل الصادق) تصوير - المهندسة سعاد العامري

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب

قراءة في بعض ردود الفعل على تقرير لجنة لنداو

عبد المجيد حمدان

Library BIRZEIT UNIVERSITY

حفلت الصحافة العبرية بالكثير من المقالات ، لاعضاء كنيست ، وكبار الكتاب والمعلقين ، عكست ردود الافعال على تقرير "لجنة لنداو" بشأن ممارسات محققي جهاز المخابرات العامة الاسرائيلية ، والتوصيات التي تضمنها هذا التقرير . وجرى نشر العديد من هذه المقالات بعد ترجمتها للعربية في الصحافة المحلية . لكن اهتمام اهالي المناطق المحتلة ظل في الحدود الدنيا. ويمكن القول ان الاهتمام قد انحصر في نطاق فئة محدودة. وعلى الاغلب بعض المثقفين من هواة النقاشات الميالين للتجريد ، وفي الصالونات بمقاعدها المريحة واجوائها الاليفة.

وانعكس هذا الاهتمام في الاعراب عن الاعجاب بسعة الديموقراطية الاسرائيلية وشموليتها وعمقها . وهؤلاء المفتونون دوما بالديموقراطية من ماركة "العالم الحر" لا يتوانون عن اظهار الاعجاب ومحاولات التسويق ، بين اوساط جماهيرنا الشعبية ، كلما سنحت فرصة كالتي وفرتها ردود الفعل على تقرير لجنة لنداو وتوصياتها.

Digitized by Birzeit University Library

ان احد ابرز اساليب التسويق التي يستخدمها هؤلاء المفتونون تتمثل في المقارنة التعسفية والاعتباطية بين تجليات الديموقراطية من ماركة العالم الحر في اسرائيل وفي انظمة عربية مجاورة . يقولون انظروا هل يمكن ان يحدث مثل هذا في اي نظام عربي ؟! ان اجهزة اقل حساسية بكثير من جهاز المخابرات العامة لا يمكن الاقتراب منها او توجيه كلمة نقد، مهما كانت لينة، لها فما بالكم بنقد الجهاز بمثل العبارات التي وردت في تقرير "لجنة لنداو" . ان تشكيل لجنة التحقيق في حد ذاته هو برهان ساطع على حيوية وعظمة هذه الديموقراطية.

ويصمت هؤلاء عن النتائج المتوخاة من مثل هكذا تحقيق ومن التقرير وتوصياته . ويتناسى هؤلاء المتفذلكون ان النظم العربية المشار اليها ، وممارساتها سواء مصادرتها للحريات العامة او كبحها وتزييفها للديموقراطية ، او ما تمارسه من ظلم وعسف وقمع ومس بحقوق الافراد والجماعات ، ومنع للتنظيمات وتقييد لحرية الكلمة ..الخ ما هي في الحقيقة غير وليد شرعي لديموقراطية العالم الحر خرج من احشائها وتربى ونما تحت رعايتها وفي حمايتها.وهذه الديموقراطية، ماركة العالم الحر ، وهي تفيء على هذه الانظمة بحنانها ، تتحول كما الام ، عند الانسان والحيوان ، شرسة غاية الشراسة اذا تعرض اولادها لخطر قادم من الشعوب التي تجثم على صدورها.

ولان قبح الابناء لا يصلح برهانا على ان الام فائقة الجمال ، ولان شرورهم وشذوذهم لا يقدم شهادة لها على حسن السير والاخلاق ، ولان قذارتهم لا تعني ان الام فاضلة وطاهرة .. ولان .. ولان.. فان الحجة التي يعرضونها ، والتي يكررون عرضها ، كلما "دق الكوز في الجرة" غير مقنعة وايضا غير مقبولة.

ولكي يكون للحوار معنى ساحاول تقديم قراءة ، وان كان مستعجلة ، لبعض ردود الفعل حول التقرير وتوصياته.

ولنرتفع عن اصدار الاحكام ولنحتكم الى الوقائع.

التقرير وبعض ردود الفعل

ونبدأ المسألة من اولها . ونسأل كيف تشكلت اللجنة ، وما الذي جاء في التقرير ؟!

كما تشير الصحف الاسرائيلية تعرضت اسرائيل لسلسلة متواصلة من الضغوط والنقد على مدى ٢٠ عاما من قبل لجان حقوق الانسان ، العفو الدولية امنستي ، وغيرها ، ومن خلال مذكرات وتقارير سنوية . وفي مؤتمرات صحفية وندوات محلية ودولية ،ومنها كلها جرت المطالبة بوضع حد لهذه الممارسات . ودأبت الحكومة الاسرائيلية على الرد بصلافة على التقارير والنداءات والمذكرات نافية حدوثها رادة الاتهامات الى حضن الانظمة العربية . ولأن قصور الحكام العرب من زجاج كلها،كانت لا تجرؤ على قذف حجر على النوافذ الاسرائيلية . لكن ضغط الرأي العام لم يتوقف. وتراكم التنديد واعطى الضغط تأثيرا تزايد على الدوام . حتى كانت فضيحة الباص ٣٠٠ وقتل اربعة شبان بدم بارد. وقد اظهر التحقيق فيها تحت ضغط الرأي العام كذب ما قدم فيها من شهادات . وتلا هذه الفضيحة فضيحة اخرى هي فضيحة سجن الضابط عزت نابسو. واتضح من التحقيق الجديد ، ان جهاز التحقيق يكذب . وتكاثرت الشكاوي والمؤتمرات الصحفية من ضحايا هذا الجهاز . وهكذا وجدت الحكومة الاسرائيلية نفسها في الزاوية فاضطرت لتشكيل لجنة لانداو لفحص وتدقيق مجمل ممارسات جهاز المخابرات العامة والمحققين على وجه خاص.

تشكلت اللجنة من القاضي المتقاعد موشي

Digitized by Birzeit University Library

الاحرار رئيسا وهو قاض سابق في محكمة العدل العليا ومن عضوية الجنرال المتقاعد يتسحاق دروي ومن الون غيلون مركزا.

وكما تقول وسائل الاعلام الاسرائيلية وضعت تحت تصرف اللجنة الاف الملفات واجرت اللجنة الكثير من المقابلات قبل ان تضع تقريرها المقسم الى جزأين. الرئيسي منه بقي سريا وقد تناول مهام وتركيب جهاز المخابرات العامة "الشين بيت" الاسرائيلي وسبل التحقيق التي يعتمدها منذ العام ٦٧،تضمن شرحا عن القوى البشرية العاملة فيه والموظفين المشرفين على الجماهير العربية.

اما الجزء العلني فقد تضمن الاستنتاجات والموضوعات الاقل اهمية والتي اثار الكشف عنها ردود فعل واسعة في الوسط الاسرائيلي كما اشرنا.

ماذا يقول التقرير

الجزء المعلن من التقرير يثبت ان جهاز "الشين بيت" اعتمد اسلوب الكذب امام المحاكم، خصوصا المحاكم الميدانية المصغرة . ومنذ العام ٧١ - وهو عام البدء بهذه المحاكم - ، وان هذا الكذب مورس بتوجيه من اعلى القيادات في الجهاز وصولا الى رئيسه . وقد وجد ان ثلاثة من رؤساء الجهاز متورطون في توجيه موظفيهم الى الكذب المبرمج امام المحاكم . وجاء في التقرير ايضا ان موظفي "الشين بيت" الذين وقفوا امام المحاكم فضلوا الكذب دائما . فارتكبوا بذلك مخالفة جنائية وهي شهادة زور حسب بند "٢٣٧ - أ" من قانون العقوبات . وحسب هذا البند فان العقوبة تصل الى السجن سبع سنوات لكل هذه المخالفة.

ويعترف التقرير ايضا بان المحققين استخدموا التعذيب والضغط النفسي والجسدي - لانتزاع اعتراف حقيقي من المتهمين.

حددت اللجنة اسباب ظاهرة الكذب امام المحاكم فعددت ثلاثة اسباب هي :

١) ضرورة الابقاء على سرية سبل التحقيق التي يعتمدها جهاز "الشين - بيت" لضمان فاعليتها.

٢) اعتبار محقق "الشين - بيت" سجن المتهم الامني خطوة مضمونة لتصفية نشاطه.

٣) نجاح الكذب في اصدار الاحكام التي يريدها جهاز "الشين - بيت " بعد ان حظي المحققون بثقة القضاة.

وماذا كانت توصيات اللجنة؟ بخصوص الكذب اوصت اللجنة بعدم التحقيق مع اي من موظفي الجهاز الذين قدمت ضدهم شكاوى بشأن ملفات بتت المحاكم فيها سابقا . كما اوصى باسدال الستار وعدم محاكمة اي من مرتكبي جريمة الكذب واعتبار ما فات قضي وانتهى.

اكثر من ذلك تقرر اللجنة ان محققي "الشين بيت" توقفوا كليا في الاونة الاخيرة عن الادلاء بشهادات كاذبة امام المحاكم. اي منحتهم اللجنة شهادة "حسن سلوك".

وسريعا سقطت شهادة حسن السلوك هذه فقد اتضح ان المحققين كذبوا في قضية المعتقل "عواد حمدان" الذي اعتقل في ٨٧/٧/١٩ وتوفي في ٧/٢١ وبعدها اعيد الى اهله جثة واثار التعذيب تشوه جسده كله.

اما عن قضية التعذيب فقد حاولت اللجنة في تقريرها تبرير ممارسات المحققين باللجوء الى المقارنة الاعتباطية مع ما يجري في بلدان اخرى. قالت :"نؤكد هنا ان طريقة محققي "الشين - بيت" بعيدة بعد الشرق عن الغرب عن الطرق المذمومة التي تستخدمها الشرطة السرية في انظمة معينة يقوم فيها حكم مطلق، والقائمة على استخدام وسائل الضغط حتى ينتزعوا من فم الخاضع للتحقيق اعترافا كاذبا بامر يرتكبه

Digitized by Birzeit University Library

وحتى تجري تصفيته بعد ذلك في محاكمة تظاهرية صورية".

وبعد محاولة التبرئة هذه اوصت باصباغ الصفة القانونية على التعذيب فقررت التوصية بأن "ممارسة ضغط نفسي وحتى "نسبة معتدلة" من الضغط الجسماني هو وسيلة مشروعة في التحقيق مع متهمين بارتكاب "اعمال تخريبية".

ولان الدول في العادة تخجل من ارتكاب افعال التعذيب وتحاول التنصل منها ورد الاتهام على اصحابه كما فعلت الحكومات الاسرائيلية حتى الان ، فان هذه التوصية ، كما قالت المحامية فيليتسيا لانغر*هي اول سابقة في التاريخ تتباهى بها دولة بممارسة التعذيب والادهى باضفاء صبغة الشرعية عليه.

ومن المعروف ان التعذيب يمارس في بلدان وانظمة عديدة لكن دولة واحدة لم تجرؤ على المباهاة به لخجلها من بشاعة الجريمة".

وردا على هكذا اقوال فان اللجنة في قرارها اشارت الى "سوابق قضائية اجيزت فيها الاعترافات التي انتزعت من متهمين بواسطة الضغط - اي التعذيب - الجسدي والنفسي المعقولين ، امام القضاء" وحتى لا يبقى الامر مفتوحا للاجتهاد كما اوضحت صحيفة الاتحاد حددت اللجنة في الجزء السري من تقريرها "الممنوع والمسموح بشأن ممارسة الضغوط النفسية والجسدية وذلك استنادا الى ما هو معمول به حتى الان من قبل محققي "الشين - بيت".

وبعبارة اوضح منحت محققي "الشين - بيت" حرية العمل على غرار ما كان معمولا به حتى الان شريطة الا يكذبوا امام المحاكم".

وهكذا ليس من قبيل الصدفة ان قوبل التقرير بارتياح الاوساط السياسية وقبلهم اوساط "الشين - بيت" نفسها ، كما اوردت كافة الصحف العبرية.

اما الضحايا على مختلف اصنافهم فان التقرير لم يتذكرهم..

ولم يمض وقت طويل حتى كانت توصيات لجنة لانداو بمثابة مستند قانوني يرتكز اليه الادعاء العسكري.

ففي قضية فيصل ابو شرخ - ٣٩ عاما - الذي اختطف من عرض البحر واقتيد الى اسرائيل في ايلول ٨٥ طلب المحامون عقد محكمة مصغرة للنظر والتقرير بشأن قانونية الاعترافات التي ادلى بها ابو شرخ تحت طائلة التعذيب - لكن ممثلة الادعاء - حسب صحيفة دافار - قالت انها موافقة على ما جاء في ادعاءات الدفاع بشأن تعرض المعتقل للتعذيب واضافت بان التعذيب لم يؤثر على كون اعترافات المعتقل ابو شرخ هي اعترافات صحيحة.

وعلل القاضي لانداو التوصية بعدم تقديم رجال "الشين بيت" الى المحاكمة بسبب ممارسة الكذب والتزوير ، وامام جلسة للجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست قائلا :"رغم ان لهم دورا هاما في الحفاظ على الامن الا ان افعالهم التي مارسوها ستعرض الامن للخطر . واضاف :ان التوصية بعدم تقديمهم للمحاكمة لم تنبع من الاسباب الخاصة بأمن الدولة بل لان الافعال التي مارسوها كانت اسلوبا عاما متبعا من قبل".

ردود رسمية

وقبل استعراض ردود فعل رجال القضاء والمحامين ولجان حقوق الانسان والصحافة دعونا نسأل وكيف كان رد فعل المسؤولين الكبار في الحكومة؟ لان ردود الفعل هذه تحمل اشارة ما اذا كان الوضع سيستمر على ما كان عليه او سيجري وقف مثل هذه الافعال.

Digitized by Birzeit University Library

الحكومة الاسرائيلية وافقت باغلبية ١٩ صوتا لامتناع اثنين عن التصويت على تقرير اللجنة إبدت بوقف التحقيق في قضية الضابط نابسو.

كما شكلت لجنة وزارية برئاسة اسحق شامير رئيس الوزراء وعضوية وزراء الخارجية ، الدفاع والعدل ، للبحث في موضوعات خاصة ذات علاقة بعمل جهاز المخابرات العامة بما في ذلك التحقيقات التي يجرونها في قضايا القيام بعمليات معادية لاسرائيل حسب توصية لنداو .

قال شمعون بيرس ، حسب "جروزلم بوست" لو كان تحت الانطباع بان محققي الشين - بيت والمسؤولين في الجهاز يقولون الصدق ، لكنه بعد ان اكتشف خطأ هذا الانطباع اكتفى بالاعراب عن الاسف حيث قال انه يأسف ويحس بالخجل من افعال رجال الشين - بيت . ولكي لا يغضب احدا ارفق اسفه بالاعراب عن تقديره للجنة كما وصف التقرير بانه ايجابي.

اسحق شامير رئيس الوزراء اكتفى بمساندة طلب جماعات التنظيم الارهابي باعادة المحاكمة أو العفو عنهم. بدعوى انهم كانوا ضحايا ممارسات جهاز التحقيق.

اما عوزي برعام سكرتير حزب العمل ، عضو الكنيست فقد صرح امام لجنة الخارجية والامن اثناء مناقشتها للتقرير ، والكلام دائما حسب "جروزلم بوست" قائلا :"العديد من المسؤولين اتوا على التقرير واعتبروه ايجابيا. وهذا يدل على ان لا احد تناول الموضوع بصورة جدية" . واعترف برعام ان "نتائج تقرير لجنة لنداو" اوقفت شعر رأسي في النهار" . وان توصيات التقرير "تبين وتعترف بان عددا كبيرا من رجال الشين - بيت يجب ان تتم محاكمتهم".

لكن رئيس لجنة الخارجية والامن في الكنيست ابا ايبان رفض اجراء مقابلة حول التقرير مع شبكات التلفزيون الاميركية . وقال الذي قلق لانني انظر الى الناس الذين سيفسرون هذا التصريح خصوصا وانهم تصرفوا كما تصرفوا . ومهما تكن النية فان هذا التصريح من قبل "لجنة لنداو" يفتح الامكانية لتجويل هذا المبدأ - مبدأ استخدام الضغط الجسدي في حالات التحقيق مع رجال المنظمات الفلسطينية - الى مجالات اخرى . فالشرطي كما قال ايبان يمكن ايضا ان يتصرف على نفس الاساس ثم يقول لرؤسائه ما الذي اختلف؟

هذا اذن ما يقلق ابا ايبان ان تتجه الانظار لاجهزة اخرى مرتبطة او ذات علاقة بالسياسة التي وجهت رجال الشين - بيت ليجري فحص ممارساتها.

النتائج الاولى

اجمعت الصحافة الاسرائيلية ان اعضاء التنظيم الارهابي اليهودي سيكونون المستفيدين دون غيرهم من توصيات اللجنة . وهكذا اعربوا عن النية بواسطة عضو الكنيست حاييم دروكمان بالتوجه للمستشار القضائي وللمطالبة باعادة المحاكمة وان بحوزة دروكمان ادلة تثبت ان اعضاء "الشين بيت" كما كتبت "هآرتس" ، كذبوا وحصلوا على اعترافات اعضاء التنظيم الارهابي بصورة غير شرعية.

اعرب اسحق شامير اكثر من مرة عن تأييده اصدار عفو عن اعضاء هذا التنظيم كرد على مطالبتهم باعادة المحاكمة " وبدعوى ان احد كبار رجال المخابرات كذب اثناء الادلاء بشهادته امام المحكمة المصغرة حسب "دافار" .

هذه النتيجة تؤكد ان ثمرة الديموقراطية التي يجري التغني بها كانت حلالا على المتطرفين ذوي الاتجاهات الفاشية والاجرامية.

ردود الفعل من غير الرسميين

ما ان نشرت مقتطفات من الجزء العلني في

Digitized by Birzeit University Library

التقرير حتى توالت ردود الفعل واثار الانتباه هذا الاهتمام المفاجيء والضخم من وسائل الاعلام بما فيها الصحافة التي صمتت وتجاهلت عامدة هذا الموضوع طيلة السنوات العشرين الماضية .

المحامية الشيوعية التي دافعت عن الاف المعتقلين الفلسطينيين كانت كعادتها في طليعة المدافعين عن حقوق ضحايا جهاز "الشين - بيت" قالت :"اشرت قبل عشرين عاما الى ما اشار اليه التقرير . وكرست نشاطي القضائي والادبي التوثيقي لاثبات اعتماد جهاز "الشيت - بيت" على اساليب التعذيب على اختلافها والمشكلة كانت ان القضاة تبنوا دائما ما يقوله محققو "الشين - بيت".

ومضت تقول "وجاء التقرير ليشكل اعترافا بتهمة كانت موجهة بشكل دائم الى جهاز "الشين - بيت". فالتقرير يحكي قصة عشرين عاما من الاحتلال وصمت جهاز القضاء على الاكاذيب والتلفيقات . لكن التقرير يضفي على خرق القانون فيما يتعلق بابتزاز الاعترافات ، حين اعربت اللجنة عن تفهمها لممارسة الضغوط الجسدية والنفسية ، حين لم يعرض بتقديم احد من المسؤولين عن الكذب للمحاكمة ، يعطي هذا الخرق صفة قانونية . يضفي الشرعية القانونية على اساليب غير شرعية".

البروفيسور اسرائيل شاحاك ود.يوسف الغازي حسب "يديعوت احرونوت" قالا انهما "يحذران ومنذ عدة سنوات من اساليب التحقيق المرفوضة والتي يتبعها افراد جهاز المخابرات واكدا بان هذه الاساليب رافقت محاولاتهما لعرض الحقائق على الرأي العام فقد تلقيا تهديدات لحياتهما وجرت محاولات لطردهما من عملهما".

وبالمناسبة فان رابطة حقوق الانسان والمواطن ، التي ينتميان اليها انفردت مع محامي المعتقلين الفلسطينيين بالمطالبة باعادة محاكمة المعتقلين الذين ادينوا بناء على اعترافات اخذت منهم تحت طائلة التعذيب او اقرتها المحاكم بعد شهادات كاذبة ادلى بها رجال المخابرات .. والكلام حسب "يديعوت احرونوت"..

وهؤلاء ليسوا قلة او بضعة افراد . فقد اوضحت عضو الكنيست شولاميت الوني ، في مقال مطول قائلة :"الاستنتاج الاول الواضح من هذا التقرير يؤكد وجود ما يزيد على ٨٠٪ من عمليات التحقيق مع المعتقلين الامنيين العرب قد مورس فيها التعذيب وجرى التحقيق بصورة غير قانونية على الاقل".

وتضيف :"في السنوات ال ١٦ الاخيرة قدمت الشرطة والادعاء العام مئات او الاف القضايا التي تؤكد حدوث التعذيب اثناء التحقيق معهم من قبل رجال جهاز الشين - بيت والتقرير يقول ان الافادات التي صدرت بموجبها هذه الاحكام عليهم كانت كاذبة".

ليس هؤلاء فقط

ضحايا الجهاز لم يكونوا فقط اولئك الالاف الذين تحدثت عنهم شولاميت الوني. بل ان لكل الاجهزة التي لها صلة ما بجهاز "الشين - بيت" او للدقة بالسياسة التي وجهت هذا الجهاز، ضحاياها. وهؤلاء الضحايا لم يحظوا باهتمام واضعي التقرير.

تقول المحامية الشيوعية فيليتسيا لانغر "تحدث التقرير فقط عن الكذب باعتباره نمط عمل في "الشين - بيت" ولم يتحدث عن ضحايا هذا الكذب. عن الاشخاص الذين ادينوا في مئات القضايا التي كذب فيها المحققون . والتحقيق لم يأخذ بعين الاعتبار الضحايا واهتم فقط بـ "ضمير" محققي "الشين - بيت". وتضيف فيليتسيا لانغر :"ان جوهر توصيات اللجنة هو

Digitized by Birzeit University Library

الاصرار على التنكر لحقوق الفلسطينيين في الاراضي المحتلة . كما يتجاهل التقرير الحقائق التي اعرفها كمحامية عملت في المرافعة عن الشبان الفلسطينيين في المحاكم العسكرية طوال ٢٠ عاما".

ماذا تجاهلت اللجنة ؟! اجابة على السؤال دعونا نأخذ الاعمال المتعلقة مباشرة بجهاز "الشين - بيت" .

قالت حايكا غروسمان عضو الكنيست في نقاش جرى في لجنة الداخلية ان سلطات الحكم العسكري تتبع سياسة لا انسانية تجاه مقدمي طلبات لم الشمل وبناء على توصيات وتوجيهات جهاز "الشين - بيت" واضافت غروسمان:انه في خلال ال ٢٠ سنة الماضية رفضت دوائر الحكم العسكري ٢٠٠ الف طلب لجمع الشمل .

وربما يكون هذا الرقم وحده ذو دلالة مقنعة تصدم اولئك الذين يفكرون في وسائل افراغ الارض المحتلة من اهلها عن طريق تضييق العيش عليهم بوسائل جهاز الشين - بيت او بغيرها.

ومؤخرا - اي قبل بضع سنوات . ابتدع جهاز الشين - بيت طريقة جديدة لاستصدار احكام من المحاكم على الشبان الصغار قاذفي الحجارة، رافعي الاعلام ، المشاركين في المظاهرات والصدامات مع الجيش. يكفي ان يقف جندي في الحكمة ليشير باصبعه الى الشاب قائلا انه هو الذي قذف الحجر او رآه في مظاهرة او عند حاجز مشتعل ..الخ ليصدر الحكم بادانته.ومثل هؤلاء الجنود يأتون للخدمة في المناطق المحتلة وهم معبأون بالكراهية للعرب كما هو معروف.

وقضية قتل المعتقل عواد حمدان من جنين خلال يومين من اعتقاله في ٨٧/٧/١٩ وحتى ٧/٢١ ركزت الاضواء على قضايا وممارسات وحشية مشابهة.

وهذه القضية اثارت نقاشات وتعليقات واسعة في الصحافة الاسرائيلية . حايكا غروسمان عضو الكنيست ، حسب "يديعوت احرونوت" قالت :" الجديد الذي تقشعر له الابدان في هذه القضية يكمن في ان رجال المخابرات هذه المرة كذبوا على رئيس المخابرات وعلى لجنة لنداو".

اما رئيس مكتب المحامين - وحسب نفس الصحيفة - يعقوب روبين فقد قال :"هذه الظاهرة التي كشف عنها صدفة تشير الى امراض قد تكون اكثر خطورة مما تشير اليه لجنة لنداو!

والكشف عن القضية لم يكن صدفة عشرات القضايا مثلها منذ بداية الاحتلال قدم اصحابها شكاوي صم روبين وامثاله ووسائل الاعلام اذانهم دونها. منذ بداية الاحتلال قتل عديدون تحت التعذيب.البداية كانت من عند قاسم ابو عكر اول الشهداء تحت طائلة تعذيب جهاز التحقيق وفي بداية عهد الاحتلال وقد وصل جسمه ممزقا من اثار التعذيب. وتلته قافلة كان اكثر اساليب القتل فيها بشاعة الطريقة التي قتل بها المعلم احمد ذيب دحدول من سلفيت . في الطريق من سلفيت الى طولكرم تناوب الجنود على ضربه ووصل الى مقر الحكم العسكري في طولكرم جثة هامدة وقبل ان يراه محققو الشين بيت ومنهم قاسم ابو خضرا من عكا الذي قتل في العام ٦٩ وامام ناظري ابنه الطفل . ومحمد يوسف الخواجا من نعلين والذي قتل في العام ٧٦. وهناك كثيرون قافلة من الشهداء الذين سقطوا تحت التعذيب.

ليس هذا فقط بل لقد بسط جهاز التحقيق - شين بيت - حمايته على اعوانه في المناطق المحتلة . ومعروف ان هؤلاء مجموعات من الاوباش والحثالات الساقطين اجتماعيا واخلاقيا. وهؤلاء ارتكبوا العديد من الجرائم بما فيها جرائم قتل ، سحب التحقيق فيها من

Digitized by Birzeit University Library

اجهزة القضاء المدنية المختصة واحيل الى القضاء العسكري الذي اوقف التحقيق وترك المجرمين طلقاء . ونذكر على سبيل المثال لا الحصر الاعتداء بالسلاح على طلبة جامعة بيت لحم وجرح ثلاثة ظلت عاهات بعضهم دائمة وتلازمهم . وكذلك قتل المعلم داود العطاونة من بيت كاحل وامام القرية بكاملها . وقتل محمد عفانة من تل والجريمتان نفذهما اعوان روابط القرى.. ومقتل علاطي عطية من العبيدية ..الخ ونظام من بيت ريما وعمر جعابيص من جبل المكبر . وغيرهم كثيرين يشكلون قافلة من الشهداء.

اكثر من هذا لقد اتبعت السلطة بناء على توجيهات جهاز الشين - بيت كما يبدو اسلوبا ظلت وما زالت تمارسه طوال ٢٠ سنة ولا احد يعرف الى متى . الشهداء الذين يسقطون في المظاهرات او في التحقيق او على ايدي الاعوان او بوسائل اخرى ، ترسل جثثهم الى معهد التشريح في أبو كبير .

وفي العادة لا يتسلم اهل المغدور نسخة من التقرير . ويفرض على الاهل دفن فقيدهم في ساعة متأخرة من الليل وتحت الحراسة المشددة . كما يحظر على العائلة مشاركة اكثر من ٤ - ٥ افراد في عملية التشييع والدفن وتحت الضغط ، والخوف من حدوث ردات فعل بما فيها التظاهر قد يتسامحون بان يشارك ١٠ - ١٥ شخصا في التشييع والدفن وتحت الحراسة ولا يمكن ان يتم تجاوز الاوامر باحضار طبيب للكشف على الجثة لمعرفة اسباب الوفاة.

ومع ان قضية "عواد حمدان" وحدها هي التي تم تسليط الضوء عليها نتيجة لتراكمات وضغوط المحامين والاهل. فان ذلك كان كافيا لكي يطالب عضو الكنيست يوسي سريد ، حسب دافار وهآرتس المستشار القضائي ، باصدار الامر لاجراء تحقيق في قضية التعاون بين جهاز - الشين بيت - ومعهد التشريح في ابو كبير. وعلل سريد طلبه بان قضية الباص ٣٠٠ وقضية عواد حمدان تثير الشكوك والحاجة لفحص ما اذا كان في معهد التشريح مصدر يزود الشين بيت بالوثائق والمستندات المطلوبة حسب الضرورة وليس حسب المعطيات والوثائق.

وهكذا يتضح ان المسألة ابعد واوسع من "ان الفضيحة الجديدة - قتل عواد حمدان - تثبت نقص وعجز توصيات لجنة لنداو التي امتنعت عن فرض عقوبات قضائية صارمة على رجال الشين - بيت ، الذين اعتمدوا الكذب والتزوير" كما قالت حايكا غروسمان في "دافار" واكثر من "ان هناك تغطية وتسترا مستمرين من قبل القيادة السياسية وعجزا عن الحسم من قبل رئيس الجهاز" حسبما نسبت "دافار" لاوساط قضائية وشعبية . او "ان توصيات اللجنة هشة لانها لم تتضمن اتخاذ اجراءات قضائية ضد الكذابين " حسب قول غروسمان في "يديعوت احرونوت" .

ولهذا لا يحل المشكلة عن طريق "عزل الكذابين الثلاثة في قضية عواد حمدان ، وتقديمهم الى محاكمة فورية استجابة لطلب يوسي سريد في "دافار" .

ولكن لماذا يتجاهلون حقيقة ان الذين يكذبون في تحقيق داخلي يعتبر "اسوأ الامور التي تحدث في جهاز المخابرات "حسب "يديعوت احرونوت" يمكنهم ان يكذبوا ، ويكذبون فعلا في قضايا لم الشمل وامثلة القتل التي سبق التطرق اليها؟!

كتب برنارد جوزيف في "جروزلم بوست" يقول:"ان جمعية الحقوق المدنية في اسرائيل اعربت عن قلقها من توصيات لجنة لنداو واصدرت الجمعية بيانا جاء فيه :"ان الحاجة السرية بالنسبة للتحقيق في قضايا المخربين واضحة وجلية. لكن التجربة اظهرت انه وخلف

Digitized by Birzeit University Library

شائة السرية ، هناك خروقات متكررة للحقوق الاساسية ". وانتقدت الجمعية وعلى حياء لجنة لنداو لانها لم تفعل شيئا لتغيير اجراءات الاعتقال الاداري والابعاد في قضايا لم يتم التوصل فيها الى ادانة بوسائل مقبولة في المحكمة".

والاعتقال الاداري والابعادات تتم بناء على ملف يعده جهاز "الشين - بيت" . ويسمح للقضاء فقط بالاطلاع على محتوياته. ويحرم محامي المتهم من الاطلاع عليها بدعوى انها معلومات تتصل بالامن .

ومنذ مدة يدور في هيئات الحكم الاسرائيلي العليا نقاش حول العودة لتطبيق عقوبة الاعدام بحق اعضاء في التنظيمات الفلسطينية . ومن ابرز الحجج المعارضة لاعادة العمل بعقوبة الاعدام تلك التي تقول ان عقوبة الابعاد هي في الواقع اقسى من عقوبة الاعدام وابعد اثرا. فالمبعد يجر معه عددا من افراد اسرته . وهكذا فان عقوبة بهذه القسوة يصادق عليها من قبل اعلى اجهزة القضاء ، ومنها محكمة العدل العليا ، وتنفذ دون معرفة للشخص الذي يجري عقابه وكذلك محاميه بفحوى الادعاءات . ان ما حواه تقرير لجنة لنداو يؤكد ان الكثير من مواد مثل هذه الملفات ملفقة ومزورة . والامر نفسه مع حالات السجن الاداري والاقامات الاجبارية وفرض منع دخول مناطق معينة وغيرها.

في الاعتقال الاداري كما هو معروف يتم تجديد الحكم للمعتقل بعد مثول امام لجنة للاعتراضات العسكري. وشخصيا بين العامية ٧٤ و ٧٦ مثلت امامها ٤ مرات . واذكر ان بين اعضائها الستة او السبعة يجلس ممثل لجهاز التحقيق وربما اكثر من واحد . واذكر ان اطول وقت استغرق النظر في قضيتي كان خمس دقائق وفي المرات الاخرى كان بين دقيقتين الى ثلاثة ، وكنت اخرج بعدها بستة اشهر جديدة .

والحال نفسه كان مع كل الذين تنظر هذه الهيئة في قضاياهم . وبعضهم جددت لهم العقوبة ٧ مرات واخرين اكثر.

هذه المحاكمات ومحاكمة الزميل اكرم هنية في قضية الابعاد دفعتني لاطرح على بعض المحامين عددا من الاسئلة المعروفة اجابتها سلفا منها مثلا لماذا يمنعون المحامي من الاطلاع على المواد في الملف الامني ؟! وتكررت الاجابة لانهم يعرفون انها كاذبة ولا يريدون الكشف عن مصادرهم ، اي مجموعات الاوباش والحثالات العاملة معهم . واذكر انني قلت لاحد المحامين ساسرد عليك قصة اعقبها لك بسؤال . ذلك انه حالفني الحظ وزرت معسكر اوشيفيتس النازي للابادة والذي يقوم على اراضي بولونيا . هناك رأيت كثيرا من الاموال التي لا يمكن نسيانها . كما تعز على الوصف، لهول بشاعة الجرائم التي كانت ترتكب بحق المعتقلين وكلهم مدنيون. بين اكثر ما علق في ذاكرتي من المشاهد مشهد قاعة محكمة . محكمة عسكرية صغيرة كانت تنظر ، في الوجبة الواحدة ، في عشرات القضايا وتنطق بحكم مسبق اعده رجال الغستابو وهو الموت اما على حائط الاعدام القريب من المحكمة او شنقا على منصات منصوبة في ساحات المعتقل . والان جاء دور سؤالي :النازيون استنادا الى قوتهم العالمية الضخمة والمدمرة انذاك رأوا ان يبولوا،وما هو اكثر،على قضائهم . لكنني اتساءل

ما الحاجة لاستنساخ هذا العمل وتكراره هنا ؟! لم يعارضني المحامي ولكنه في نفس الوقت لم يجبني على تساؤلي.

وهدم البيوت

والمعروف ان تشعبات عمل جهاز التحقيق لا تتوقف كما قلنا عند اصدار الحكم استنادا لاعتراف منتزع تحت طائلة التعذيب او ازتكازا

Digitized by Birzeit University Library

على شهادة زور. فهذه الشهادات والاحكام يترتب عليها اجراءات اخرى منها نسف بيت المتهم بالديناميت او بالجرافة او اغلاقه ولمدة طويلة . وقذف العائلة باطفالها تحت غائلة البرد والحر والريح..الخ ويتبع هذا اجراء بمنع اعادة البناء على نفس الارض ، او التخلص من ركام البيت المهدوم.

وكل الذين تحدثوا عن تقرير"لجنة لانداو"في الصحافة الاسرائيلية وما اكثرهم لم يتطرقوا لهذه المسألة غير المحامية فيليتسيا لانغر. فالهدم يقع على اساس شهادات مزورة .

ومعروف ايضا ان عددا كبيرا من القضايا الخاصة بتزوير بيوعات الارض رفع ومرفوع امام المحاكم . والمزورون عادة اشخاص لهم صلات بجهاز"الشين- بيت". وبعضهم ارتكب جرائم قتل كما حدث في قرية العبيدية للشهيد علاطي عطية وفي قرى منطقة طولكرم.وغيرها.ومع ثبوت تهمة التزوير فان الاراضي ليست فقط لا تعود لاصحابها ولا ان المزورين لا يقدمون للمحاكمة وانما تصادر باوامر عسكرية والمزورون يتابعون نشاطهم في قضايا جديدة .

وفي هذه القضايا وغيرها تبين ان للشرطة علاقة . ورجال في الشرطة ليسوا اقل كذبا من زملائهم في جهاز التحقيق.

صحيفة "يديعوت احرونوت" كتبت تقول :"هناك نشاطات يومية مشتركة بين رجال الشين- بيت" ورجال الشرطة خصوصا اثناء التحقيق مع رجال المنظمات الفلسطينية . وتعرف قيادة الشرطة المختصة رجال المخابرات جيدا وحتى على المستوى الشخصي كما ان اساليب التحقيق التي يتبعها رجال المخابرات معروفة بمعظمها لرجال الشرطة".

ومعروف "ان المعرفة - كما تقول يديعوت احرونوت - تتعدى التحقيق مع رجال المقاومة الفلسطينية الى حالات اخرى "وتشمل تطبيق مختلف الاجراءات التي يشملها الشق الاول من سياسة العصا والجزرة المطبقة في الاراضي المحتلة ، ضد غير الراضين عن استمرار الاحتلال.

والى جانب الشرطة هناك جهاز الضريبة الذي يوقع بتوجيه من جهاز ،الشين -بيت "غرامات باهظة بمن يريد الجهاز معاقبتهم لانهم يشكلون خطرا على امن الاحتلال حسب ادعاء هذه الاجهزة.

حتى جهاز السير هو الاخر يعمل احيانا بوحي توجيهات جهاز الشين بيت ليوقع عقوبات او يحرم اشخاصا ، باشارة من جهاز التحقيق ، من حقهم في الحصول او التقدم لامتحان اجازة السواقة .

ان القائمة طويلة حتى ان الكاتب الاسرائيلي عاموس كينان قد لفت الانظار الى ظاهرة قد ينساها المرء وهي عمل الدوريات الخضراء . كتب كينان في مقال مطول عن نتائج تقرير لنداو وتوصياته يقول :"الدوريات الخضراء لا عمل لها الا تنفيذ شكل واحد من اشكال القمع . وبما ان جميع عمليات اقتلاع اشجار الزيتون اصبحت من اختصاص الدوريات الخضراء التي تنسق مع سلطة اراضي اسرائيل فقد اصبح من الضروري فرز بعض النشاطات والاعمال بايدي الدوريات الخضراء التي ستأتي لتمتص الغضب والقت من النفوس بعد ان تكمل الدورية الخضراء اقتلاع كل ما هو اخضر للعرب طبعا !! "

موقف الاعلام

كما قلت في بداية هذا المقال اثار تقرير "لجنة لانداو" وتوصياتها اهتماما واسعا في الصحافة العبرية . وجرت ترجمة العديد من المقالات التي تناولت الموضوع واعيد نشرها في صحافة الارض المحتلة .

لكن المقالات والقطع الصحفية تركزت على

Digitized by Birzeit University Library

مسألتين هما دور جهاز القضاء وتوصية اللجنة باستخدام ضغوط جسدية ونفسية في حدود المعقول.

يوئيل ماركوس مثلا في هآرتس وتحت عنوان: التقرير داعب الاخطاء الصغيرة وتجاهل الخطايا الكبيرة"قال متسائلا:"اين كانت الهيئة القضائية الاسرائيلية ؟! هذا في الحقيقة احد الاسئلة التي تظل برأسها من "قطار الكذب" الذي كان يعرض امام المحاكم العسكرية والذي وصفته اللجنة بالتفصيل في تقريرها ".

ومضى يقول": قد يتساءل الانسان العادي : على الرغم من ثقتي بالسلطة القضائية فهل من المعقول ان احدا في مكتب الادعاء العام ومكتب مستشار الحكومة القضائي او افراد في الهيئة القضائية لم يشعروا ولو للحظة بان الشهادات التي تعرض امامهم ملفقة؟! "

وعن التوصيات يقول ماركوس :"اما الخطيئة الكبرى فتتمثل في تحديد اللجنة - خصوصا في الجزء السري من التقرير - قائمة تفصيلية للضغوط النفسية والجسدية المسموح لرجال المخابرات باستخدامها . والامر الذي سعت اللجنة لتحقيقه يتعلق باعراف جديدة تنص على ان المتهم بالقيام باعمال معادية لاسرائيل لا يعامل مثل المجرم العادي ولهذا يكون بالامكان التحقيق معه باساليب اخرى ".

لقد ورد في الايضاحات "اعضاء المنظمات،الذين رضعوا نصب اعينهم سلب حق الحياة من مواطني الدولة، يجب ان لا يتمتعوا بالحقوق التقليدية للمواطن ".

وتساءل يوئيل ماركوس ساخرا عن ماهية النقاشات في اللجنة الوزارية قائلا :"هل يعتبر الضرب على الاعضاء الجنسية ضغوطا جسدية معتدلة؟! ولماذا لا نستبدلها بصفعتين؟ ما رأيكم لماذا لا نشطب التبول ونضيف بصقتين وذلك في اطار الضغوط النفسية؟! "

وعلى نفس المنوال كتب عاموس كينان فقال "طوال ١٦ عاما مارس فيها جهاز الامن العام الكذب الرسمي والمعترف به . وعلى مدار هذه السنوات كانت المحاكم تعرف بان الكذب يغلف جميع القضايا التي قدمت اليها وحاكمت المواطنين - العرب اساسا - على اساسها . وطوال ١٦ عاما كانت حكومات اسرائيل تعرف بان الكذب في عمل جهاز الامن شيء لا بد منه ولا يستغنى عنه".

وتساءل كينان : ماذا فعلت اللجنة ؟ ويجيب ، "طالبت بالغاء هذا السلوك الممل والضال لكنها اعتبرته سلوكا انسانيا كان لا بد منه . واذا كان السلوك انسانيا فلماذا تطالب اللجنة بالغاء هذا المظهر الانساني؟ واذا طالبت بالالغاء فلماذا تعتبره انسانيا؟! "

ويستنتج كينان:"انتقلت اسرائيل من مرحلة الاحتلال المستند الى مرحلة القمع المستنير ، وتسعى الدولة بكل جد ومثابرة للوصول هذه الايام الى مرحلة التهجير المستنير الحضاري الذي لن ينفذ بالعصا والقوة بل بالاقناع والترغيب. "

وعلى سؤال اين كان القضاء اجابت صحيفة "كوتيرت راشيت" فكتبت تقول:

"عام ٧١ كانت البداية التي اخذ عناصر الشين بيت يتوافدون فيها على قاعات المحاكم ليكذبوا ويحلفوا الايمان الكاذبة ، وهم في حالة من الشك وعدم الثقة خوفا من قيام احد القضاة او المحامين باستجوابهم بطريقة ذكية تفضح الاكاذيب والتهم الملفقة . ومع ذلك بدأت تتكرر الاعترافات من قبل بعض رجال التحقيق الذين كانوا لا يجدون مفرا من الاعتراف بان الافادة اخذت من المتهم بالقوة او ان المتهم تعرض للاعتداء او التعذيب خلال التحقيق".

وتضيف الصحيفة "ما وجده الضباط صعبا في البداية اصبح عاديا وتقليديا . ومع مرور الوقت

Digitized by Birzeit University Library

اصبحوا يقومون بالترتيبات اللازمة لمواجهة المحكمة والشهادة ويتدربون عليها. بل ان استمرار المحاكمات افرز عددا خاصا من رجال الشين بيت الذين يأتون الى المحكمة للادلاء بالشهادة ومواجهة الاستجواب وبالتالي احتراف التحقيق واحتراف الاجابة على اسئلة المحكمة دون خجل ولا وجل وبلا ادنى تاثر او قلق".

وكتبت شولاميت الوني ، عضو الكنيست ، تحت عنوان :"اذا كان القانون غافيا فان القضاء كان غائبا عن وعيه " تقول :"كان هناك تأكيد على وضع جميع الامكانيات التي يحتاجها عمل هذا الجهاز ليكون فعالا وناجعا . فالتحقيقات وعمليات المتابعة لا تتم حول "فنجان قهوة" كما اكد تقرير لجنة لنداو".

وتمضي الوني الى القول :"المشرع الاسرائيلي وضع كثيرا من الامكانيات بايدي هذا الجهاز منها حق الاستماع والتنصت ، خروج وتجاوز لحقوق الفرد ، واعتقالات مستمرة لمدة طويلة ،٣٠ يوما ، عدم السماح لاي محام برؤية المعتقل او الدفاع عنه. والاعتقالات الادارية والتفتيشات ، حظر نشر الوثائق والبيانات السرية ، مداولات ومحاكمات مغلقة وبسرية تامة .. وغير ذلك".

وتتابع الوني :"المحكمة اجازت للجهاز العمل وفق طرق ومعايير يمكن بواسطتها الحصول على المعلومات التي يريدها ، وعلى المعلومات التي يفترضها حتى لو لم تكن موجودة . وانه يجوز لجهاز - الشين - بيت "استخدام القوة في سبيل منع حدوث كارثة".

وبعد هذا تتساءل الوني "اين كان الادعاء العام العسكري ؟ واين كان القضاء؟ الذي قدمت له الاف القضايا من قبل الذين وقعت لهم هذه المآسي".

الشين بيت يرد

صحيفة "هآرتس" قالت على لسان محقق "الشين - بيت"ردا على التساؤلات السابقة انهم زعموا ان اعضاء لجنة لنداو لم يتعمقوا في تحقيقهم ولم يتوصلوا الى الحقيقة بكاملها حينما قرروا بان القضاة والنيابة "الادعاء العام" لم يكونوا على علم باسلوب الافادات الكاذبة والذي كان متبعا في المحاكم.

قال المحققون :"من غير المعقول وليس منطقيا ان لا يرتاب القضاء والمدعون العامون ، وعلى مدار سنوات طويلة من الافادات التي قيل خلالها ان الاعترافات اخذت من المتهم "بمحض ارادته" واضافوا "لا يوجد ادنى شك بان الكثير من العيون اغمضت خلال الاف المحاكمات التي جرت ضد السجناء الامنيين" .

وتتابع "هآرتس" على لسان المحققين :"النيابة العسكرية حاولت اظهار نفسها كساذجة مع ان المدعين العامين تصرفوا حسب قواعد اللعبة المتبعة ولم تستمع منهم لاية احتجاجات او ملاحظات ان المدعين كانوا على درجة كافية من الخبرة بحيث يمكنهم ان يعرفوا بوجود اسلوب متبع وانه ليس من الممكن ان تكون جميع افاداتنا صحيحة".

واكد رجال - الشين - بيت انه "من الصعب الاقتناع بان جهازا قضائيا له خبرة مهنية واسعة لم ينجح لفترة طويلة في تمييز اعمال الخداع والغش المتبعة". واخيرا تساءلوا : الم يكن واضحا للمشاركين في هذه المحاكم ان غالبية المعتقلين الامنيين لم يتبرعوا بتقديم اعترافاتهم ، حول العمليات التي نفذوها بمحض ارادتهم ؟!".

اين كان الاعلام

تعمدت تقديم هذه المقاطع المطولة من بعض

Digitized by Birzeit University Library

المقالات والتعليقات لالقاء ضوء على طبيعة النقاش الدائر؟ فاذا كانت لجنة لانداو قد اتهمت بضمير المحققين كما قالت المحامية الشيوعية فيليتسيا لانغر ، فان الكتاب والصحفيين واعضاء الكنيست اهتموا بضمير القضاء والادعاء العسكري ، ومثل اللجنة اهملوا الضحايا.

ومن حق القاريء ان يسأل اذا كانت وسائل الاعلام تتساءل اين كان القضاء واين كان الادعاء العام . فلماذا لا يجوز السؤال اين كانت وسائل الاعلام؟!

لقد عقد المحامون واعضاء منظمات حقوق الانسان والمواطن ، والضحايا،عشرات المؤتمرات الصحفية ، تحدثوا فيها عما تعرضوا له من تعذيب وعرضوا آثاره على الصحفيين . وتحدث المحامون والضحايا في الكثير من الندوات العالمية وقدموا وثائق وبراهين . وجهت لجان حقوق الانسان ، ومنها امنستي ، الكثير من الانتقادات للحكومة الاسرائيلية على مختلف التجاوزات ونشرت الصحافة الغربية الكثير من التقارير عن ممارسات الجيش والمستوطنين الهمجية ، واضرب السجناء عشرات المرات دفاعا عن حقوقهم ، ووجهوا رسائل عديدة يشرحون فيها معاناتهم ويعرضون مطالبهم واغلقت الصحافة الاسرائيلية ووسائل الاعلام اذنيها واغمضت عيونها . وسارت طوال العشرين سنة الماضية ملتزمة "بقاعدة رجال الشين بيت الذهبية!" . العربي ومحاميه كذابون دائما والمحققون ورجال الشرطة والسجانون ورجال الادارة والمستوطنون صادقون دائما وابدا.

وبعد

ونعود الى البداية . هل ما ينشر ، وتشكيل لجنة التحقيق واصدار تقريرها وتوصياتها مظهر عافية للديموقراطية الاسرائيلية على وجه الخصوص وديموقراطية العالم الحر على وجه العموم ؟! وهل تصلح هذه الديموقراطية مثلا يحتذى لان القفر هو سمة الديكتاتورية العربية المميزة كما يريدها بعض المتحذلقين من هواة النقاشات في الصالونات وعلى المقاعد الوثيرة ؟!

لا زلت احفظ صورة صديقي الطيب ابو محمود ، رفيق "البرش" قرابة سنتين . صورته ضاحكا لا تستطيع قوة مهما كبرت قلعها من الذاكرة . عاد صديقي من مقابلة مع المحققين يحاول جاهدا تخليص نفسه من الضحك الذي سيطر عليه . استغربنا فالعادة ان يعود السجين بعد هكذا مقابلة غير قادر على الضحك ولأيام . استفسرنا واخرج الكلمات من وسط الضحكات بصعوبة فقال :"اثناء المقابلة قلت للمحقق ولكن تقولون ان عندكم ديموقراطية. رد علي ساخرا ماذا تقول ديموقراطية ، لا يا حبيبي عندنا ديموظراطية . كررت سؤالي فكرر جوابه مؤكدا هل تتصورون اخذ ابو محمود يردد الكلمة ضاحكا وعيناه تغرورقان بالدمع ، يعيدها ويضحك ونضحك..

ومع الذكريات ايضا في بدايات نهضة الحركة العمالية في اوروبا ابتدعت البرجوازية وسائل واستخدمت اساليب لامتصاص نقمة العمال وتفريغ شحنات غضبهم دون ان يمس ذلك مصالح المستغلين . من بينها ان ادارة المصنع واصحابه كانوا يسمحون للعمال في الاعياد بتمثيل مسرحيات على خشبة في المصنع تتهكم وبكلمات جارحة على صاحب العمل . وكان صاحب العمل يحضرها ويضحك وحتى يقهقه مع العمال ليقول السذج منهم فيما بعد اترون ما اطيبه نشتمه ونسخر منه ويضحك معنا.

وتطور هذا الاسلوب مع تقدم عصر التكنولوجيا ، في اليابان يصنعون دمية مطاطية على صورة رئيس ادارة الشركة . وفي يوم معين

Digitized by Birzeit University Library

يجلسون الدمية على مقعد المدير في غرفة الرئاسة ليدخل عليها الموظفون ، منهم من يصفعها ومنهم من يبصق في الوجه ومنهم من يشتم باقذع الالفاظ وكأنه يفعل ذلك بالمدير نفسه وبعدها يخرج وقد تبخرت شحنة الغضب منه لتعود الامور كما كانت طوال السنة وحتى الموسم القادم للضرب والبصق والشتم.

فهل يمكن ان يكون الامر غير ذلك مع تقرير لجنة لنداو؟ خصوصا وان الامور ستظل سائرة على نفس المنوال ما دام الاحتلال قائما؟!

لقد لخصت المحامية فيليستيا لانغر المسألة على النحو التالي:

" دائما حاولوا استغلال الاحداث والفضائح لاثبات ديموقراطية اسرائيل ولا اعرف اية ديموقراطية هذه التي تعطي صفة القانونية والشرعية لاساليب عمل غير مشروعة "

ومرة اخيرة اعود الى البداية كما أن قبح الابناء لا يكون برهانا على ان الام فائقة الجمال ، وان شذوذهم لا يمنح الام شهادة بالفضيلة ، كما لا تشكل حقارتهم دليلا على طهارة الام كذلك هو الحال مع ديموقراطية العالم الحر ومنها الديموقراطية الاسرائيلية فان قفز الانظمة العربية وامتهانها لحقوق الانسان وقمعها ومصادرتها للحريات وحجبها للديموقراطية عن شعوبها لا يقدم صكوكا ار براهين لديموقراطية العالم الحر وبانها الفضل والمثل والاوسع والاكثر كمالا كما يحاول المتحذلقون ان يقولوا.

من التراث:

ليت القوم ما اجتمعوا!!

قد اجتمعوا .. وما جمعوا لهم امرا فما صنعوا
فكم صالوا وكم قالوا وما صدقوا وما نفعوا
وبانت فيهم الاحقاد والشر الذي رضعوا
فهذا ينصب الاشراك يبغي من بها يقع
وذاك يسفه الاحلام والاراء تبتدع
واخر يدعي الاخلاص وهو الكاذب الجشع
امور تبعث الاحزان ، ليت القوم ما اجتمعوا

من قصيدة "اجتماع صاخب"
للشاعر محي الدين الحاج عيسى
نابلس ١٩٣٢

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب، العدد 92، كانون الأول 1987

في الفكر الشيوعي الفلسطيني

الشيوعيون وقضايا النضال الوطني

في البعدين العربي والدولي للنضال الوطني الفلسطيني *

- د.ماهر الشريف -

اكد الشيوعيون الفلسطينيون باستمرار على ان نضال الشعب الفلسطيني من اجل استرداد حقوقه الوطنية لا يمكن ان يتم بمعزل عن حركة التحرر العربية والحركة الثورية العالمية ، وغير ذلك "يؤدي ، عن قصد او عن غير قصد ، الى وضع القضية الفلسطينية في تعارض مع هاتين الحركتين " (١).

اولا : في البعد العربي للنضال الوطني الفلسطيني :

ففي نظر الشيوعيين الفلسطينيين ، لم تكن القضية الفلسطينية ، في يوم من الايام ، منعزلة عن كفاح الشعوب العربية ضد الاستعمار والامبريالية والصهيونية ، وانما كانت هناك ، وبخاصة بعد بروز دور اسرائيل كقاعدة عدوانية في خدمة مشاريع الامبريالية في المنطقة ، علاقة متبادلة بين المعركة من اجل استعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني والمعركة من اجل ضمان الاستقلال السياسي والاقتصادي التام للبلدان العربية وتأمين سيرها على طريق التحرر والتقدم الاجتماعي والوحدة . ومن هنا، فقد اعرب الشيوعيون الفلسطينيون عن قناعتهم بان حقوق الشعب الفلسطيني الوطنية لن تسترجع الا عبر "تشديد نضاله ضد الامبريالية والصهيونية، بالتضامن الوثيق مع الشعوب العربية الشقيقة". داعين الى توحيد جهود الشعب الفلسطيني مع جهود الشعوب العربية ودولها المتحررة في النضال ضد الاستعمار ، بشكليه القديم والجديد ، وضد الصهيونية واطماعها وعدوانها .(٢)

وعند وقوع عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، قدر الشيوعيون بان الدوائر الامبريالية والصهيونية قد استهدفت من وراء

* تشكل هذه المادة فصلا من كتاب سيصدر قريبا للمؤلف .

Digitized by Birzeit University Library

ذلك العدوان "ضرب حركة التحرر والتقدم العربية وخلق الصعوبات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للبلدان العربية وبث روح الهزيمة واليأس والاستسلام لدى الشعوب العربية واضعاف كفاحها، تمهيدا لاستعادة المواقع الاستعمارية المفقودة في المنطقة وتصفية مكاسب شعوبها ، ولفرض تسوية مذلة للقضية الفلسطينية" (٣)، واستخلصوا بانه بقدر ما تتلاحم وحدة الشعوب العربية ، ومن ضمنها الشعب الفلسطيني ، ويشتد ساعدها في النضال ضد التحالف الامبريالي - الصهيوني ، وبقدر ما يتوطد تحالف حركة التحرر العربية مع الحركة الثورية العالمية ، بقدر ما تتهيأ الظروف العربية والدولية لتصفية نتائج العدوان والتقدم نحو حل القضية الفلسطينية .(٤)

حركة المقاومة الفلسطينية فصيل من فصائل حركة التحرر العربية :

رأى الشيوعيون في حركة المقاومة الفلسطينية ، التي برزت وتطورت اثر عدوان حزيران، فصيلا هاما من فصائل حركة التحرر الوطني العربية واداة فعالة في مجرى نضال الشعوب العربية ضد العدوان الامبريالي - الصهيوني ومن اجل تحرير الاراضي العربية المحتلة واستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني . ومع اقرارهم بان نضال الشعب الفلسطيني قد لعب تاريخيا دورا بارزا في تطوير وتعميق قضيتي التضامن العربي والوحدة العربية ، رفض الشيوعيون الفلسطينيون الانصياع للمقولات الخاطئة ، التي شاعت في فترة من الفترات : وحاولت تصوير حركة المقاومة الفلسطينية ك "بديل" للاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية العربية و"طليعة" لفصائل حركة التحرر العربية ، وشددوا على ضرورة ان تنظر حركة المقاومة الفلسطينية باستمرار الى مصلحتها من خلال المصلحة العامة لمجموع حركة التحرر الوطني العربية (٥). وفي هذا السياق، جرى التحذير ، ومنذ مطلع السبعينات ، من مخاطر المساعي التي تبذلها الدوائر الامبريالية لعزل حركة المقاومة عن حلفائها الطبيعيين على الصعيد العربي وتجريد القضية الفلسطينية ، من ارتباطها بقضايا الشعوب العربية وابعادها عن مجرى النضال التحرري العربي الموجه ضد الامبريالية والقوى المتواطئة معها (٦).

ففي نظر الشيوعيين الفلسطينيين ، لم يكن بالامكان تصور نجاح حركة المقاومة الفلسطينية في تحقيق اهدافها من دون الاعتماد الحاسم على مساندة فصائل حركة التحرر العربية ودعم الشعوب العربية "التي الهب ظهور حركة المقاومة الفلسطينية ، والنهوض الجبار للشعب الفلسطيني من تحت انقاض كارثة عام ١٩٤٨ ، مشاعر الاعتزاز القومي لديها ، فهبت تدعم هذه الحركة وتمدها بكل اسباب الحياة والنمو ، لانها وجدت فيها جزءا هاما من حركتها الثورية ووسيلة فعالة في النضال المشترك الذي تخوضه لاسترداد كرامتها وعدتها القومية ومن اجل استرداد ترابها المحتل "(٧) . ومن هذا المنطلق ، دعيت فصائل حركة المقاومة الفلسطينية الى تعزيز ترابطها وتلاحمها مع سائر قوى حركة التحرر العربية في مختلف اقطارها ، وبالدرجة الاولى في الاقطار التي توجد فيها جماهير واسعة من الشعب الفلسطيني، كالاردن ولبنان وسوريا (٨)،كما جرى التشديد على اهمية وجود انسجام في الموقف السياسي ، تجاه القضايا الرئيسية ، بين حركة المقاومة الفلسطينية وقوى حركة التحرر الوطني العربية :

"فوجود مثل هذا الانسجام مطلوب لان

Digitized by Birzeit University Library

الوضع العربي ينعكس ، بايجابياته وسلبياته، على الوضع الفلسطيني ، لا بسبب تواجد اقسام واسعة من الشعب الفلسطيني في الدول العربية وحسب ، وليس بسبب تواجد مراكز منظمة التحرير الفلسطينية ومنظمات المقاومة في تلك البلدان ، وليس كذلك بسبب اعتماد منظمة التحرير على طرق التموين والتمويل العربية وحسب، وانما ايضا، وهذا هو الاهم ، بسبب تواجد الحركة الوطنية الفلسطينية في خندق واحد مع باقي فصائل حركة التحرر العربية في مواجهة الامبريالية والصهيونية والرجعية . وهذا التواجد يشكل الاساس الموضوعي للترابط القائم بين مجموع فصائل حركة التحرر الوطني العربية ، ومنها الحركة الوطنية الفلسطينية ، بالاضافة الى وحدة المشاعر القومية والشعور بالخطر المشترك ازاء التوسع الصهيوني والتأمر الامبريالي "(٩) . وبسبب هذا الترابط بالذات ، ينشأ تأثير متبادل بين الحركة الوطنية الفلسطينية من جهة وفصائل حركة التحرر الوطني العربية الاخرى من جهة ثانية ، بحيث تنعكس المصاعب التي تواجهها حركة التحرر العربية في دفع وتطوير النضال الوطني الفلسطيني .

العلاقة مع الانظمة العربية :

لاحظ الشيوعيون الفلسطينيون ، منذ مطلع السبعينات ، بان تعدد منظمات حركة المقاومة الفلسطينية - وان كان قد جاء تعبيرا عن حاجة موضوعية - قد تأثر بالتباين والتمايز بين مواقف البلدان العربية المختلفة من معالجة الصراع العربي - الاسرائيلي وازمة الشرق الاوسط، بحيث "وجد تأثير هذا البلد العربي او ذاك انعكاسه على هذه المنظمة الفدائية او تلك من خلال مؤثرات مادية وفكرية وسياسية" (١٠). مشيرين الى معاناة منظمة التحرير الفلسطينية من التأثيرات المتعددة والمتضاربة التي تحملها اليها مواقف مختلف الدول العربية . ومع تقديرهم بان دعم البلدان العربية لحركة المقاومة الفلسطينية ككل هو شيء ايجابي ، لا غنى لحركة المقاومة عنه، اكدوا في المقابل على ان الدعم الفردي الذي تقدمه هذه الدولة العربية او تلك لهذه المنظمة الفدائية او تلك "ستكون له نتائج سلبية على وحدة العمل الفدائي "(١١) . وفي مرحلة لاحقة ، وفي ضوء تجارب حركة المقاومة الفلسطينية ، استخلص الشيوعيون الفلسطينيون بانه من الضروري "الالتزام بموقف فلسطيني موحد في العلاقة مع مختلف الانظمة العربية ، يقوم في الاساس على التحالف الوثيق مع كل القوى المعادية للامبريالية والصهيونية ويعمل لتجنيد تلك القوى التي لم تسقط في مستنقع الاستسلام ويعادي بلا تردد كل قوى الاستسلام العربية"، ورأوا بانه من المناسب "حصر الصلة مع الدول العربية بهيئات منظمة التحرير الفلسطينية وحدها" (١٢) .

فقد انطلق الشيوعيون الفلسطينيون من حقيقة ان الواقع الفلسطيني ، بابعاده الجغرافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية ، يفرض على حركة المقاومة ومنظمة التحرير الفلسطينية نسج علاقات متشعبة مع الانظمة العربية المختلفة والتعامل معها عبر اشكال متعددة . وفي الفترة التي اعقبت عدوان الخامس من حزيران مباشرة ، كان الشيوعيون على قناعة بان مصلحة نضال الشعوب العربية ضد الامبريالية والصهيونية تتطلب "الحفاظ على التضامن العربي وتوطيده، بغض النظر عن اختلاف الانظمة الاجتماعية او عن الخلاف في الرأي حول هذه القضية او تلك" (١٣) . غير انهم ، ومع استمرار اعترافهم بالحقيقة المشار

Digitized by Birzeit University Library

اليها، صاروا يدعون ، اثر تفاقم دور الاتجاهات اليمينية وبروز تناقضات جذرية بين حركة التحرر الوطني والاجتماعي العربية وانظمتها المعادية للامبريالية من جهة والانظمة والقوى الرجعية العربية المرتبطة بالامبريالية من جهة ثانية ، الى تحديد تعامل حركة المقاومة ومنظمة التحرير الفلسطينية مع الانظمة العربية المختلفة في الكفاح العام ضد الامبريالية والصهيونية ومشاريعهما الاستسلامية ، ويؤكدون على ان توحيد المواقف السياسية للدول الوطنية العربية ولحركة المقاومة الفلسطينية من شأنه وحده ان يلجم الانظمة اليمينية والرجعية العربية المرتبطة بالامبريالية ، وان يهيىء الظروف لقيام تضامن عربي حقيقي (١٤). فمع قناعتهم بان التضامن العربي يبقى "شعارا استراتيجيا ثابتا وقضية جدية كبرى في نضال الشعوب العربية من اجل التحرر الوطني" ، لاحظ الشيوعيون الفلسطينيون في اواسط السبعينات بان مفهوم التضامن العربي بات "يختلف من بلد لاخر ، ومن قوة لاخرى ، حسب الاتجاهات السياسية والمنطلقات الطبقية التي تتحكم في كل بلد وفي كل قوة " ، مشيرين الى ان اي وطني تقدمي عربي "لا يمكن ان يقبل ان يكون التضامن وسيلة لتغطية جرائم الرجعية العربية ، وتغطية تآمرها على منجزات الشعوب العربية الاجتماعية والاقتصادية ، وللالتفاف على منظمة التحرير الفلسطينية واضعافها كممثل شرعي وحيد للشعب العربي الفلسطيني" (١٥).

وفي نظرهم ، اصبح مفهوم التضامن العربي ، بما فيه التضامن مع القضية الفلسطينية ، يعني ، بتأثير اندماج مهمات التحرر الوطني بالتقدم الاجتماعي ، محتوى طبقيا جديدا، بحيث باتت القوى العربية ذات المصلحة في مواصلة المعركة ضد الامبريالية وتحقيق التقدم الاجتماعي "هي ذات القوى الاكثر كفاءة وفعالية في التضامن النضالي مع الشعب العربي الفلسطيني"، واصبح من واجب الحركة الوطنية الفلسطينية بالتالي ان تسعى الى "تعزيز علاقاتها وتحالفاتها مع الشعوب العربية وقواها المناضلة في الاساس ، وتجنب كل ما يمكن ان يضعف او يلغي التضامن الشعبي والتقدمي معها "(١٦). واذ ظل الواقع الفلسطيني، بتداخله مع الواقع العربي ، يفرض على منظمة التحرير الفلسطينية اشكالا من التعامل مع الانظمة العربية المختلفة لا يمكن تجاوزها، وبقيت هناك اعتبارات معينة تستدعي الاستفادة من "الشرعية" العربية الرسمية ، فان فصائل منظمة التحرير الفلسطينية ، بما لديها من تنظيمات ومؤسسات "غير رسمية"، تستطيع مد وتوسيع جسور الصلة والتفاعل مع الجماهير العربية وقواها الثورية ، بحيث لا تكون علاقات منظمة التحرير مع الانظمة العربية على حساب علاقاتها مع حركة الشعوب العربية ، وبحيث لا يرقى ذلك التعامل التكتيكي مع بعض الانظمة الى مستوى الاستراتيجية "(١٧).

لقد اعتبر الشيوعيون الفلسطينيون ان ارتباط الانظمة اليمينية والرجعية العربية بالامبريالية يجعلها عاجزة موضوعيا عن تقديم المساندة الفعلية للنضال الوطني الفلسطيني، ونظروا الى عبارات "التضامن" مع منظمة التحرير الفلسطينية والى "المساعدات" المالية التي تقدم اليها كمحاولة لستر الدور الفعلي لهذه الانظمة ، والموجه اساسا ضد قوى حركة التحرر العربية ، ومن ضمنها الحركة الوطنية الفلسطينية . وانطلاقا من هذا، دعيت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية الى تشديد اليقظة "ازاء نشاطات وسياسات الدول الرجعية واليمينية ، التي تستغل مساعداتها المالية لمنظمة التحرير لممارسة ضغوط عليها ودفعها الى شباك

Digitized by Birzeit University Library

المساومة مع الامبريالية الاميركية واضعاف علاقاتها مع القوى التقدمية العربية والعالمية والنيل من الوحدة الوطنية الفلسطينية" (١٨) .

ومن ذات المنطلق ، وقف الشيوعيون الفلسطينيون بحزم في وجه بعض الاوساط الفلسطينية والعربية التي حاولت التشكيك في جدوى تحالف الحركة الوطنية الفلسطينية مع الانظمة الوطنية المعادية للامبريالية ، معتبرين بان المساعي التي تبذل لاضعاف علاقات منظمة التحرير الفلسطينية مع الانظمة الوطنية العربية لا تستهدف سوى تقليص امكانيات حركة المقاومة الفلسطينية في النضال ضد العدوان الامبريالي - الصهيوني ودفعها للاعتماد على الانظمة اليمينية والرجعية.

وبعد قيام الجبهة القومية للصمود والتصدي ، ردا على تفاقم النهج الاستسلامي للنظام المصري ، اكد الشيوعيون على اهمية ان تكون منظمة التحرير الفلسطينية طرفا نشيطا وفاعلا في اطار هذه الجبهة، واشاروا الى ان توحيد الموقف السياسي والعسكري لاطراف جبهة الصمود والتصدي "سيعمل على استقطاب الرأي العام العربي ، الوطني والتقدمي، وعلى مواصلة النضال على جميع الجبهات لتطويق خيانة السادات والحاق الهزيمة بها ، ولتحرير الاراضي العربية المحتلة واسترداد الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني" (١٩).

وفي سياق الدعوة لتعزيز تحالف الحركة الوطنية الفلسطينية مع الانظمة الوطنية العربية المعادية للامبريالية، اعار الشيوعيون الفلسطينيون اهمية خاصة لعلاقات منظمة التحرير الفلسطينية مع سوريا، واعتبروا في اواسط السبعينات ان التحالف الكفاحي السوري - الفلسطيني "من شأنه ان يشكل نقطة ارتكاز قوية للنضال العربي بشكل عام، وللنضال الفلسطيني بشكل خاص، اذا ما قام على اسس ديمقراطية تتبلور من خلاله الهوية الفلسطينية المستقلة ، وجرى تعميق تلاحمه مع حركة التحرر العربية وبالدرجة الاولى فصائلها الديمقراطية والتقدمية ، وتعززت علاقاته الكفاحية بشكل اشد وامتن مع الاتحاد السوفييتي على وجه الخصوص" (٢٠) . وفي مواجهة المساعي التي كانت تبذلها الدوائر الامبريالية والصهيونية والرجعيةوالتي تكشفت اثر العدوان الاسرائيلي على لبنان في صيف العام ١٩٨٢ ، من اجل خلق شرخ ثابت في العلاقة السورية - الفلسطينية ، رأى الشيوعيون الفلسطينيون بان "الرد على الاوساط المستفيدة من تأجيج الخلافات الفلسطينية السورية وتفويت الفرصة عليها يعتبر مهمة اساسية لجميع القوى التي تسعى لخوض نضال ناجح ضد استمرار العدوان الاسرائيلي - الاميركي على الشعوب العربية" ، واكدوا على ان توثيق التحالف الفلسطيني - السوري "هو مهمة مطروحة امام الطرفين" ، معربين عن ثقتهم بان مثل هذا التحالف النضالي "بالتعاون مع القوى الوطنية اللبنانية ، وبالاستناد الى ارادة شعوبنا العربية والى دعم اصدقائنا الاوفياء وفي المقدمة منهم الاتحاد السوفييتي ، سيكون قادرا على ايقاف عربدة المعتدين الاسرائيليين وسادتهم في واشنطن" (٢١).

استقلالية الحركة الوطنية الفلسطينية :

قدر الشيوعيون الفلسطينيون ان قيام حركة وطنية فلسطينية متميزة تنظيميا عن فصائل حركة التحرر العربية الاخرى قد تحقق كتعبير عن واقع موضوعي جديد تبلور في فترة من الفترات، وتجلى في نمو العامل الخاص على حساب العامل العام في حركة التحرر الوطني العربية . ثم جاء العدوان الاسرائيلي في

Digitized by Birzeit University Library

حزيران عام ١٩٦٧ ، وما تمخض عنه من نتائج ، ليكرس نمو الخاص الوطني الفلسطيني وليؤكد ضرورة اعتماد الشعب الفلسطيني على نفسه لتطوير نضاله واستعادة حقوقه الوطنية ، دون التخلي بالطبع عن التعاون الوثيق مع قوى حركة التحرر العربية (٢٢).

وعلى قاعدة هذا الفهم العلمي للظروف التي رافقت انبعاث وتعاظم دور منظمة التحرير الفلسطينية كاطار جبهوي لهذه الحركة ، شدد الشيوعيون الفلسطينيون على ضرورة الحفاظ على الشخصية السياسية المستقلة للشعب الفلسطيني "في مواجهة مؤامرات الامبريالية والصهيونية والرجعية الرامية الى طمس هذه الشخصية السياسية المستقلة او تشويه محتواها التقدمي ، وصولا الى تصفية القضية الفلسطينية"، شريطة عدم المبالغة في ذلك لدرجة "وضع هذه الشخصية المستقلة ومصالحها في تعارض مع حركة التحرر الوطني العربية" (٢٣)، واذ عارض الشيوعيون الشعار القائل بان قضية فلسطين "لا يحلها الا الفلسطينيون وحدهم" ، فانهم وقفوا ، في المقابل ، ضد"الذين" ينكرون كليا دور الشعب الفلسطيني في حل قضيته الوطنية، ويصورون القضية على انها قضية صراع بين الدول العربية واسرائيل" (٢٤).

لقد استخلص الشيوعيون الفلسطينيون بانه قد برز اتجاهان خاطئان في فهم موضوعة استقلالية الحركة الوطنية الفلسطينية : احدهما انكر استقلالية الحركة الوطنية الفلسطينية اصلا تحت غطاء قومية القضية و"قومية" المعركة ، والاخر فهم هذه الاستقلالية بانها تقوقع وانغلاق للحركة الوطنية الفلسطينية ووضعها لمصالحها خارج اطار المصالح العامة لحركة التحرر الوطني العربية لمجموعها. وبالتمايز عن هذين الاتجاهين الخاطئين ، جرى التأكيد على ان حق الحركة الوطنية الفلسطينية في ممارسة استقلاليتها، بعيدا عن وصاية الانظمة العربية ، هو امر عادل ومشروع، وينسجم مع متطلبات النضال الوطني الفلسطيني والنضال التحرري العربي على حد سواء ، ودعيت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية الى الحرص على صيانة القرار الوطني الفلسطيني وعدم السماح لاية دولة عربية بالتدخل في الشؤون الداخلية لمنظمة التحرير (٢٥). غير انه اشير ، في ذات الوقت ، الى ان استقلالية الحركة الوطنية الفلسطينية ، كونها فصيلا من فصائل حركة التحرير الوطني العربية ، تبقى مقيدة بالمصالح المشتركة لمجموع هذه الحركة، مثلما ينبغي ان تكون عليه استقلالية كل فصيل من فصائلها (٢٦) ، وتفترض اعلى مستوى من التنسيق بين الحركة الوطنية الفلسطينية من جهة والقوى الوطنية والتقدمية العربية من جهة ثانية . ففي اطار المعركة الواحدة ضد العدو المشترك ، لا يمكن ان تتمتع الحركة الوطنية الفلسطينية بحقوق من دون ان يكون عليها واجبات ، والتنسيق هو المظهر الاساسي لهذه الواجبات النابعة من المصلحة النضالية المشتركة (٢٧).

وبهذا الفهم بالذات ، لا تنطلق استقلالية الحركة الوطنية الفلسطينية من النزعة الاقليمية الضيقة ، ولا تعني الانفرادية والعزلة والانغلاق ولا تقف موقف المعارضة للتضامن الكفاحي العربي ، وانما تنطلق "من حق الشعب الفلسطيني في ان يدير شؤونه بنفسه، وبخاصة بعد ان ابعد عن قضيته طويلا منذ ان تولت الدول العربية التفاوض باسمه، وتقوم بدورها من خلال اكبر قدر من التعاون والتضامن مع الدول العربية على اساس المصالح المشتركة في النضال ضد الامبريالية والصهيونية وعدوانها" (٢٨). واثر العدوان الاسرائيلي على لبنان في صيف العام ١٩٨٢ ، توقع الشيوعيون

Digitized by Birzeit University Library

الفلسطينيون بان تواجه منظمة التحرير الفلسطينية صعوبات متزايدة ، في ظل تشتت قواها العسكرية واجهزتها وتوزعها على عدة بلدان عربية ، وان تنشط المساعي من اجل فرض الوصاية مجددا على مقدرات الشعب الفلسطيني واحتواء منظمة التحرير الفلسطينية ، واعتبروا بان السبيل المضمون لمواجهة مشاريع الوصاية والاحتواء والمحافظة على استقلالية الحركة الوطنية الفلسطينية هو في التمسك الحازم بهدف الاستقلال الوطني وفي تعزيز التلاحم مع الشعوب العربية وقواها الوطنية والتقدمية وفي ابتعاد قيادة منظمة التحرير عن الانخراط في سياسة المحاور العربية (٢٩).

ثانيا : في البعد الدولي للنضال الوطني الفلسطيني :

نظر الشيوعيون الفلسطينيون الى القضية الفلسطينية باعتبارها قضية نشأت تاريخيا بفعل مؤامرة دبرتها الامبريالية العالمية ، وحليفتها الحركة الصهيونية ، واشاروا الى ان نضال الشعب الفلسطيني المعادي للامبريالية والصهيونية ، والملتحم عضويا مع نضال الشعوب العربية التحرري ، قد شكل باستمرار جزءا من الحركة الثورية العالمية ، وبات هناك ترابط موضوعي بين مصالح حركة التحرر العربية ، ومنها حركة الشعب الفلسطيني الوطنية ، ومصالح الحركة الثورية العالمية المناضلة ضد الامبريالية (٣٠).

وانطلاقا من هنا، اكد الشيوعيون الفلسطينيون على اهمية معالجة القضية الفلسطينية بالارتباط مع الوضع الدولي، وليس بمعزل عنه :" فالنضال الذي يجري في منطقتنا هو جزء لا يتجزأ من الصراع التاريخي بين قوى التقدم وقوى الرجعية ، بين قوى الاشتراكية وقوى الامبريالية... وبالتالي يصبح كل طرح خاطيء لحل ازمة الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية خارج اطار الصراع العالمي ، بين قوى التقدم وقوى الرجعية وبين قوى الاشتراكية وقوى الامبريالية ، مغامرة خطرة تعود بافدح الاضرار على الشعوب العربية وحركة تحررها وعلى الشعب العربي الفلسطيني وقضيته العادلة" (٣١). وبالتوازي مع تزايد دور اسرائيل في اطار الاستراتيجية الكونية العامة للامبريالية الاميركية ، كان يجري التأكيد على الاهمية الخاصة للعامل الدولي بالنسبة للقضية الفلسطينية، وذلك لكون النضال الوطني الفلسطيني والعربي "موجها ضد موقع استراتيجي للامبريالية الاميركية ، وهو اسرائيل ، وفي منطقة ذات اهمية حاسمة في الصراع الدائر على المستوى العالمي بين قوى التحرر والاشتراكية من جهة والامبريالية العالمية من جهة ثانية" (٣٢) . واثر التطور النوعي الذي طرأ على العلاقات القائمة بين الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل بتوقيع اتفاقية التعاون الاستراتيجي بينهما، والتي ترافق توقيعها مع تصاعد النهج العدواني للامبريالية الاميركية على الصعيد الدولي ، اشير الى ان حل قضية الشرق الاوسط وتلبية الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني باتا يرتبطان، اكثر فاكثر ، بالنضال العالمي من اجل لجم عدوانية الامبريالية والدفاع عن قضية السلام العالمي والانفراج الدولي (٣٣).

لقد سعى الشيوعيون الفلسطينيون ، بثبات ومنهجية ، لترسيخ اوثق علاقات التعاون والتحالف بين حركة التحرر الوطني الفلسطيني وقوى الحركة الثورية العالمية ، ورأوا في دعم البلدان الاشتراكية وقوى التحرر والتقدم في العالم لنضال الشعب الفلسطيني " ضمانة اساسية

Digitized by Birzeit University Library

وكبرى لانتصار قضيته العادلة ، مهما طالت طريق نضاله"(٣٤) ، مشددين ، منذ مطلع السبعينات، على ضرورة ان تكون حركة المقاومة الفلسطينية وثيقة الصلة بالحركة الثورية العالمية - وقوتها الاساسية الاتحاد السوفييتي - ، وان تكون منسجمة في الموقف السياسي معها، ومعتبرين بان تبني حركة المقاومة الفلسطينية لموقف "واقعي ثوري" ، يأخذ بعين الاعتبار مصالح الحركة الثورية العالمية وينسجم مع مواقفها ، وتخليها عن الاساليب والاعمال المغامرة، سيساعدان على تعزيز تضامن قوى الحركة الثورية العالمية الكفاحي مع حركة الشعب الفلسطيني الوطنية (٣٥).

وفي هذا السياق ، وقف الشيوعيون الفلسطينيون بحزم في وجه كل المحاولات الرامية الى اضعاف علاقات الحركة الوطنية الفلسطينية مع حلفائها الثابتين من قوى التحرر والتقدم والاشتراكية على الصعيد الدولي ، وشنوا كفاحا لا موادة فيه ضد حملات القوى اليمينية والرجعية العربية التي استهدفت التشكيك في جدوى تعاون منظمة التحرير الفلسطينية مع الاتحاد السوفييتي وبلدان المنظومة الاشتراكية ، داعين فصائل حركة المقاومة الفلسطينية ومنذ وقت مبكر ، الى التنبه الدائم من الوقوع في الفخ الامبريالي، والتحول من الهجوم على الامبريالية الى الهجوم على الاتحاد السوفييتي وسياسته في المنطقة :

"فالاتحاد السوفييتي قد ايد دوما الشعب العربي الفلسطيني ونضاله العادل لاسترداد حقوقه المغتصبة وحقه في تقرير مصيره.. وكل تجاهل لهذه الحقيقة واثارة الشكوك حول موقفه ليست ابدا في مصالح الشعب الفلسطيني ونضاله..، ولا تخدم في الواقع غير الدول الامبريالية والحركة الصهيونية والقوى الرجعية السوداء التي لا تكف عن الدس والتآمر لتخريب علاقات الصداقة السوفييتية - العربية ، هذه الصداقة التي تقف سدا منيعا في وج تطاولات الامبرياليين وحليفتهم اسرائيل ومخططاتهم العدوانية والتوسعية" وان مساعي الاتحاد السوفييتي لايجاد تسوية سلمية عادلة لازمة الشرق الاوسط لا تصفي القضية الفلسطينية - كما يتوهم البعض - ، بل تصفي العدوان الاسرائيلي وتحرر الاراضي العربية المحتلة وتوجه ضربة قاصمة لمخططات اسرائيل .. وهي تستجيب لمصالح الشعوب العربية وحركة تحررها الوطني والاجتماعي ، بما في ذلك مصالح الشعب العربي الفلسطيني "(٣٦).

وبقي الشيوعيون الفلسطينيون ، حتى بعد تطور علاقات التعاون بين منظمة التحرير الفلسطينية والاتحاد السوفييتي ، ينظرون الى مهمة توطيد هذه العلاقات باعتبارها "مبدأ راسخا في نضال الشعب الفلسطيني ، لايجوز التلاعب به او المناورة عليه"، وشرطا حيويا "لتحقيق اوسع دعم عالمي للنضال الوطني الفلسطيني ولتوسيع الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني ، وضمان تحول ميزان القوى المحلي والعالمي لصالح النضال الفلسطيني"، معتبرين بانه بقدر ما يتعزز التعاون الفلسطيني - السوفييتي، ويترسخ موقع منظمة التحرير الفلسطينية في الجبهة العالمية المعادية للامبريالية ، بقدر "ما تكون محصلة الصراع الدائر في منطقة الشرق الاوسط ، وحول الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، لصالح هذا الشعب"(٣٧).

ففي نظرتهم الى البعد الدولي للنضال الوطني الفلسطيني، انطلق الشيوعيون الفلسطينيون على الدوام من منطلق الحرص على صيانة موقع الحركة الوطنية الفلسطينية في خندق القوى

Digitized by Birzeit University Library

العالمية المعادية للامبريالية . ومع اقرارهم بان خصومة العدو المباشر للشعب الفلسطيني تفرض على منظمة التحرير الفلسطينية السعي الى اقامة اوسع العلاقات على الساحة الدولية ، الا انهم ظلوا يشددون على اهمية تحديد جبهة الاصدقاء والاعداء على الصعيد الدولي بشكل مائب، ويحذرون من مخاطر نهج المساواة بين حلفاء الشعب الفلسطيني واعدائه وتجاهل طبيعة الصراع في المنطقة والمضمون الحقيقي للنضال الوطني الفلسطيني ، مستندين في ذلك الى تجارب النضال الوطني التحرري ، عربيا ودوليا، والتي اثبتت جميعها بانه "ما من حركة وطنية تفقد بوصلة التعرف على موقفها وحلفائها في ساحة الصراع، الا وتفقد هويتها وتقدم على الانتحار، او تتحول الى العوبة بيد اعداء شعبها والمتآمرين عليه" (٣٨).

الهوامـــش :

١) حول القضية الفلسطينية ، تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني ، اذار ١٩٧١.

٢) (مؤامرة "الصلح" بين الحكومات العربية واسرائيل خطوة جديدة لفرض الدفاع المشترك العدواني) ، المقاومة الشعبية، السنة ٤، العدد ١٩، اوائل كانون الاول ١٩٥٢، وقرارات اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني ، اوائل تشرين الاول ١٩٦٤.

٣) البرنامج المرحلي للحزب الشيوعي الاردني ، اب ١٩٦٧.

٤) تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني ، اب ١٩٦٨.

٥) "على هامش اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني :"المطلوب سياسة واقعية" ، الجماهير ، السنة ٢٢، العدد ٨، اواخر تموز ١٩٧١.

٦) منذ مطلع عام ١٩٧٠، اشار الشيوعيون الفلسطينيون الى ان الامبريالية الاميركية "تحاول تجزئة القضية وتفتيت كفاح العرب العادل ضد العدوان وصرف انظار حركة التحرر العربية عن جوهر اهداف المتآمرين". انظر :" المشروع الاميركي الاخير مؤامرة جديدة ضد الشعوب العربية" ، الوطن، السنة ٢ ، العدد ٢٧ ، اواسط كانون الثاني ١٩٧٠ ، وفي شهر تموز من نفس العام ، عندما قامت الادارة الاميركية بطرح المشروع السياسي الذي حمل اسم وزير خارجيتها "روجرز" ، ووافقت الحكومة المصريةبزعامة جمال عبد الناصر عليه، حذر الشيوعيون فصائل حركة المقاومة الفلسطينية من الوقوع في الفخ الذي نصبته لها الامبريالية الاميركية ، بحيث "تجد نفسها تتحول من الهجوم عل الامبريالية واسرائيل الى الهجوم عل الجمهورية العربية المتحدة مركز حركة التحرر العربية واحدى فصائلها الاساسية". انظر:" المشروع الاميركي محاولة جديدة لرد اعتبار الامبريالية الاميركية الساقطة في الحضيض في سائر انحاء العالم العربي" ، بيان من الحزب الشيوعي الاردني ، الحقيقة ، العدد ٧، اب ١٩٧٠.

٧) حول القضية الفلسطينية ، مصدر سبق ذكره.

٨) مذكرة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني واللجنة القيادية للتنظيم الشيوعي الفلسطيني في الضفة الغربية الى اعضاء الدورة الثالثة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني، اول اذار ١٩٧٧.

٩) التقرير السياسي المقر في الاجتماع الموسع للجنة القيادية للتنظيم الشيوعي الفلسطيني في الضفة الغربية ، اواخر اب ١٩٧٩.

١٠) الاشهب، نعيم : في سبيل التغلب عل الازمة في حركة المقاومة الفلسطينية ، منشورات الحزب الشيوعي الاردني ، تموز ١٩٧٢.

١١) المصدر السابق.

١٢) التقرير السياسي المقر في الاجتماع الموسع للجنة القيادية للتنظيم الشيوعي الفلسطيني ،، مصدر سبق ذكره.

Digitized by Birzeit University Library

١٣) مذكرة من الحزب الشيوعي الفلسطيني الى الاخوة رئيس واعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية حول الوضع في المناطق الفلسطينية المحتلة ، ١٠ نيسان ١٩٨٢.

١٤) التقرير السياسي المقر في اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني ، اوائل ايار ١٩٧٣.

١٥) الجماهير ، السنة ٢٩ ، العدد ١، كانون الثاني ١٩٧٧، و "حول شعار التضامن العربي" ، الجماهير ، السنة ٢٩، العدد ١٢، كانون اول ١٩٧٧.

١٦) برنامج الحزب الشيوعي الفلسطيني، اعمال المؤتمر الاول ، ١٩٨٣، ص ١٥ .

١٧) مذكرة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني الى الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني ، شباط ١٩٨٣.

١٨) تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني ، اواخر شباط ١٩٨٠.

١٩) "قمة الجزائر خطوة اخرى على طريق النضال ضد الاستسلام "، الجماهير ، السنة ٣٠، العدد ٢، شباط ١٩٧٨.

٢٠) "القيادة السورية - الفلسطينية" ، الجماهير ، السنة ٢٧، العدد ٣، اذار ١٩٧٥.

٢١) مذكرة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني الى اعضاء الدورة السادسة عشر ...، مصدر سبق ذكره.

٢٢) "نشوء وتطور القضية الفلسطينية"(ملحق)، برنامج الحزب الشيوعي الفلسطيني، مصدر سبق ذكره، ص ٥٦.

٢٣) البرنامج السياسي للحزب الشيوعي الفلسطيني في قطاع غزة ، ١٩٧١ .

٢٤) المصدر السابق .

٢٥) تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني ، اواخر شباط ١٩٨٠ ، مصدر سبق ذكره .

٢٦) التقرير السياسي المقر في الاجتماع الموسع للجنة القيادية للتنظيم الشيوعي الفلسطيني...، مصدر سبق ذكره .

٢٧) الاهيب ، نعيم :"استقلالية القرار الفلسطيني" ،الكاتب ، القدس ، العدد ٥٤، تشرن اول ١٩٨٤، ص ٨ - ١١ .

٢٨) مذكرة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني واللجنة القيادية للتنظيم الشيوعي الفلسطيني في الضفة الغربية الى اعضاء الدورة الثالثة عشرة ...، مصدر سبق ذكره .

٢٩) مذكرة اللجنة المركزية للحزب الفلسطيني الى الدورة السادسة عشرة ...، مصدر سبق ذكره ، و"النضال الوطني الفلسطيني امام مرحلة جديدة" ، صوت الوطن، العدد ٣ ، اواسط ايلول ١٩٨٢.

٣٠) تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني، اب ١٩٦٨ ، مصدر سبق ذكره، والتقرير السياسي المقر في كونفرانس الحزب الشيوعي الاردني ، نيسان ١٩٧٠ .

٣١) حول القضية الفلسطينية ... ، مصدر سبق ذكره .

٣٢) التقرير السياسي المقر في الاجتماع الموسع للجنة القيادية للتنظيم الشيوعي الفلسطيني ... ، مصدر سبق ذكره .

٣٣) برنامج الحزب الشيوعي الفلسطيني ...، مصدر سبق ذكره ، ص ٨ .

٣٤) حول القضية الفلسطينية .. ، مصدر سبق ذكره .

٣٥) التقرير السياسي المقر في اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني ، اوائل ايار ١٩٧٣ ، مصدر سبق ذكره .

٣٦) قرارات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني ، ايار ١٩٦٩.

٣٧) تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني ، اواخر شباط ١٩٨٠ ، مصدر سبق ذكره ، ومذكرة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني الى الدورة السادسة عشرة ...، مصدر سبق ذكره .

٣٨) "نهج المساواة بين الحلفاء والاعداء ليس سوى نهج كامب ديفيد" ، صوت الوطن ، العدد ٣٤، اوائل شباط ١٩٨٥ .

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب

المجتمع الاسرائيلي والاحتلال

مدخل الى نقد المجتمع الاسرائيلي

د. عزمي بشارة*
- جامعة بيرزيت -

من الصعب المبالغة في مدى اهمية تعقيد انعكاس الاحتلال على المجتمع الاسرائيلي - واذا كان البعض يعتبره الدينامية الاساسية بل الوحيدة من اجل فهم هذا المجتمع، فان البعض الاخر يطرح الموضوع وكأنه مجرد تأثير خارجي عل هذا المجتمع.

لايشكل التفاعل مع الواقع الاحتلالي الدينامية الوحيدة السائدة في المجتمع الاسرائيلي، والذي لم تنشأ فيه العنصرية ، عل سبيل المثال لا الحصر مع احتلال سنة ١٩٦٧. ولكنها في نفس الوقت ليست مجرد عملية خارجية تفاعلية تجري عن طريق تبادل التأثير مع مجتمع اخر - لقد تحول الاحتلال الى دينامية بنيوية داخلية ، لا الى مجرد تاثير خارجي عل مجتمع اكتملت بنيته. وحديث بعض المثقفين الفلسطينيين عن ان المجتمع الاسرائيلي هو مجتمع شاب ولذلك من السهل التأثير عليه، هو حديث يقف عل رأسه - فلكونه مجتمعا شابا بالذات ، ولان بنيته لم تكتمل بعد عندما توسع مثل هذا التوسع، تحول الاحتلال الى جزء من مبناه الداخلي، ويصح ان نقول انه كبر مع الاحتلال . واذا اردنا استخدام لغة "المربين" (ولا بد ان من يريد "تربية" المجتمع الاسرائيلي يفهم هذه اللغة) نقول انه ما ان تعلم المشي حتى كانت مسيرة الايام الستة.

---

* د. عزمي بشارة هو ابن مدينة الناصرة ، ولد ويقيم فيها. تلقى دراسته الجامعية في الجامعات الاسرائيلية ، القدس وحيفا . واكمل دراسته العليا في برلين عاصمة المانيا الديمقراطية حيث حصل عل الدكتوراه في الفلسفة من جامعتها . يعمل د. عزمي الان محاضرا في جامعة بيرزيت.

Digitized by Birzeit University Library

ونحن واقصد الفلسطينيين (تجريدا وليس تعميما) نفهم او نحاول ان نفهم ما يجري في المجتمع الاسرائيلي اما من خلال صفته الواحدة والوحيدة ، مجتمع احتلالي، او من خلال جعل هذه الصفة من الدرجة الثانية والتعامل معه (نظريا على الاقل) وكأنه مجتمع رأسمالي عادي وطبيعي ، كأي مجتمع اوروبي مع اضافة كونه في حالة صراع معنا ، وهذا التوجه هو التوجه الاخذ بالانتشار بعين متعلمينا ومثقفينا الذين سحرهم مجتمع المحتلين القادر على قمعنا وتحدي الامة العربية طيلة هذا الوقت.

لقد اظهر التوجه الاول تقاعسا وكسلا نظريا : المجتمع الاسرائيلي مجتمع المضطهدين (بكسر الهاء) المستوطنينوهو مجتمع فاشي استعماري ... الخ واذا اختصرنا نقول : بهذا ينتهي الطرح. وعواقبه ليست فقط عدم فهم لجوانب عديدة لا يعكسها ، ولا مجرد تسيب لا معنى له في استخدام مصطلحات تحمل معان محددة ، بل وعدم امكانية اي طرح وطني ديمقراطي جدي للاسرائيليين.

ويتلخص التوجه الثاني والذي ينتشر (اي يخرج من الصالونات) مثل النار في الهشيم ، في حالات الهزيمة والتشرذم (وان اعتبر البعض حرب بيروت نصرا.. تبقى الحقيقة الموضوعية والنتائج) وانعدام افاق معركة التحرر الوطني، يتلخص هذا التوجه في اعتبار المجتمع الاسرائيلي المتفوق اقتصاديا وعلميا و "الديمقراطي" في سياسته الداخلية مجتمعا مخطئا في توجهه الينا ، او زجت به ظروف تاريخية معينة في حالة صراع معنا ، لا حل لها الا بافهامه اننا نحن الفلسطينيين لسنا "ارهابيين" او "وحوش" وبتبديد خوفه منا.. وهكذا ينتهي الموضوع الى عملية اقناع وحوار وتبادل آراء واجتياز الحاجز النفسي، ويدخل الفلسطينيون في هستيريا التنصل من كل جريمة ترتكب، حتى قبل ان تعرف هوية مرتكبيها، مما يزيد من اقناع الاسرائيليين ان القضية هي قضية الارهاب وتختزل القضية باجمعها الى قضية حذلقات و"شطارة" وتذاكي ، فما تاريخ فلسطين الا تاريخ سوء التفاهم ، وعلينا ان نقارع الاخرين الحجة بالحجة الى ان نتوصل الى حل وسط ، كما يفعل العاقلون في هذا العالم ، تحبيبا لاولئك الذين لا يستطيعون ان يقارعوا الحجة بالحجة وحملواعلى ظهورهم نير الحركة الوطنية ، اي بسطاء الناس واهالي المخيمات ، الذين يريد البعض اقناعهم ان الشعور بالذنب هو خطوة بالاتجاه الصحيح.

تتضمن الفرضيات والافكار التي سأطرحها فيما يلي نقاشا ضمنيا وليس مباشرا مع هذه التوجهات ، وان كان دافعي الرئيسي هو طرح افكار عامة حول الميكنزمات الاساسية الفاعلة في المجتمع الاسرائيلي.

****

١) ان المقولة العامة (المقبولة قطعا) والقائلة بان شعبا يضطهد شعبا اخر لا يمكن هو نفسه ان يكون شعبا حرا - لم تعد حتى في اسرائيل نفسها مقولة تخص الماركسيين فقط - هي مقولة عامة تنطبق على كل استعمار ، والمطلوب هو ليس ترديدها بل معرفة وفهم كيفية تطبيقها العيني على الحالة العينية ، او ، وكما هو الحال بالنسبة لاي قانون في الطبيعة والمجتمع ، ان تساعدنا هذه المقولة على فهم الظاهرة الاسرائيلية.

٢) يقصد البعض من هذه المقولة ، ان اساس مظاهر عدم حرية الاسرائيليين هو اضطهادهم لشعب اخر بعد عام ١٩٦٧ ، وهو ما حذرت منه في البداية ، فاذا كان الاحتلال الاسرائيلي وما رافقه من اضطهاد وقمع مباشر لقسم كبير من الشعب الفلسطيني (الضفة والقطاع) ، قد اثر تأثيرا بنيويا على المجتمع الاسرائيلي ، بما في

Digitized by Birzeit University Library

ذلك تطور بنى جديدة ، فانه وفي نواح عديدة اخرى كثف او سارع في تطور نزعات موجودة في هذا المجتمع منذ قيام الدولة. فالنزعة الى الشوفينية او النزعة الى الارتباط بعجلة الامبريالية ضد حركة التحرر الوطني في المنطقة هي بدون شك نزعات موجودة قبل احتلال عام ١٩٦٧.

٢) ليست مقولة غسل الدماغ التي يحلو للبعض ان يستعملها عند الحديث عن سهولة تكيف الرأي العام في اسرائيل مع سياسة السلطة الا من نوع العموميات التي تعيد ترتيب الافكار في خانات دون الانتقال من محاولة الفهم الى الفهم - وهي ، وان ظهرت صلبة متماسكة ، تنهار عند اول سؤال بصيغة :"لماذا ؟" . فنحن نقول عمليا ان دماغ الرأي العام الاسرائيلي مغسولة لانه تعرض لعملية غسل دماغ ... ولنفغر افواهنا مشدوهين امام عبقرية هذا الشرح !! بدون شك تجري عملية غسل دماغ في كل مجتمع تجلس فيه الدولة في بيت المواطن على شكل جهاز تلفزيون او راديو ، ولكن ما هو مضمون هذه العملية في اسرائيل ، وكيف تنجح الدولة بهذا الشكل الفائق التصور في اسرائيل ، واكثر من ذلك ، هناك دلائل تشير الى ان المواطنين المتوسطين كاثوليك اكثر من البابا، اي ان المزاج السياسي السائد في الشارع الاسرائيلي ،اكثر يمينية من المزاج السائد في التكتل القومي الحكومي.

****

(١)

ان اول ما تلاحظه عين المراقب لاقتصاد دولة صغيرة مثل اسرائيل هي الميزانية العسكرية . وهي تبرز وبحق كأحد اهم الدلائل والمؤشرات لعدم طبيعية الوضع الاقتصادي في اسرائيل .

وتنال المصاريف العسكرية بالاضافة الى الدفعات لسد قروض التسلح ، حصة الاسد من الميزانية ، بل وتفوق نصفها في غالبية السنوات التي انقضت منذ العام ٦٧ . هذه هي الظاهرة التي يشار اليها غالبا كسبب للازمات الاقتصادية المتتالية منذ حرب حزيران. وحتى اذا اهملنا جانبا حقيقة وقوع ازمات اقتصادية عنيفة جدا هزت الاقتصاد الاسرائيلي قبل هذه الحرب ، تبقى هذه الموضوعة مع ذلك ناقصة:

١) لان الازمة الاقتصادية الدورية هي من الميكنزمات الاساسية لعمل النظام الرأسمالي في اي بلد من البلدان حتى لو لم تكن هنالك ميزانية عسكرية بهذه الضخامة.

٢) لان العسكرة واحراق رؤوس الاموال الفائضة على شكل تسلح ، وخلق فرص عمل في مجال الصناعة العسكرية والاحتفاظ بجيش ضخم نسبيا قد تكون (في ظرف معين) احدى الوسائل للخروج من الازمة الاقتصادية الدورية الى حين حضور الازمة التي تليها . تماما مثل مشاريع الدولة والقطاع العام - والمثال التاريخي المتطرف في هذا المجال كانت المشاريع الهائلة التي قام بها النظام النازي في اولى سنواته مثل اقامة شبكة الطرق الحديثة التي ربطت كافة ارجاءالمانيا وخلقت ازمة البطالة او الصناعة العسكرية المدعومة من قبل الدولة ... الخ.

٣) ننسى في كثير من الاحيان ان الميزانيات العسكرية لا تصرف على حساب القطاعات الاخرى فقط (صحة ، تعليم ، رفاه اجتماعي ... الخ) وانما ايضا على حساب الولايات المتحدة . ان ما تصرفه اسرائيل على السلاح والتسلح هو على حساب مجمل الدخل القومي بنفس مقدار كونه احد مصادر الدخل القومي.

٤) وخلاصة القول ان الميزانية العسكرية والتسلح والاحتفاظ بهذا الجيش الضخم الذي يشكل ايضا اكبر مستهلك في الدولة لمختلف

Digitized by Birzeit University Library

البضائع التي تنتجها الصناعات غير العسكرية ، هي ليست مجرد خطوات اقتصادية تتخذها الحكومة الاسرائيلية بين تقليص وزيادة صرف ، بل هي جزء لا يتجزأ من مبنى الاقتصاد الاسرائيلي.

واذا كانت الاولوية في البداية للسياسة وليس للاقتصاد فان السياسة الاسرائيلية التي ادت الى الارتباط بالولايات المتحدة،اي التي ادت الى مثل هذه الحاجة الى المعونة الخارجية الاميركية ، لم تعد مجرد سياسة اختيارية (اي لم تعد مجرد سياسة) ، فالمعونة الاميركية هي خارجية بالمعنى السياسي للكلمة اما بالمفهوم الفلسفي (اي الجوهري) فهي داخلية في تأثيرها ، فقد شكلت هذه المعونة في اسرائيل اقتصادا على صورتها ومثلها - ذلك الاقتصاد الذي يترك للسياسيين خيارات محدودة.

ويظهر هذا الامر جليا في خلق طبقة طفيلية في المدن والمستوطنات تعيش على حساب المعونة الاميركية ومن فتاتها. ذلك هو الامر الجلي والظاهر للعيان (سنطرح لاحقا بعض الافكار حول تغيير التركيب الطبقي لاسرائيل) ، ولكن المبنى الاقتصادي لدولة اسرائيل تغير بشكل اكثر جذرية.

لقد مررت المعونة الاميركية رؤوس اموال للاستثمار في مجال الخدمات والاستهلاك وايضا في مجال الصناعة واهمها الصناعة العسكرية - ونجم عن هذا تغيير في التركيب الطبقي للمجتمع الاسرائيلي.

هنالك ثلاثة مظاهر اساسية للتغيرات في بنية رأس المال الاسرائيلي منذ عام ٦٧ واكثر تحديدا منذ بداية السبعينات وبداية تدفق رؤوس الاموال الاجنبية الى اسرائيل ، وقبل تعداد هذه المظاهر لا بد من الاشارة بشكل تراجعي الى رؤيتنا للدور المقنع الذي لعبته حرب ٦٧ بالنسبة لرؤوس الاموال الاجنبية من اجل استثمارها في اسرائيل ، ولا يهم اذا كان ذلك فعلا احد اهداف تلك الحرب.

اول هذه الظاهرة هو تعاظم قوة البنوك بشكل لم يسبق له مثيل وقيام مؤسسات استثمار جديدة الى جانب تعاظم قوة البنوك القائمة وتمركزها. وثانيها هو تدفق رؤوس الاموال من مصادرها الثلاثة ، الاجنبية والمحلية الخاصة والمحلية من القطاع العام الى الاستثمارات في الصناعة العسكرية (المندمجة بدورها مع رأس المال البنكي) ، وثالثها هو التعايش النادر وجوده في العالم الرأسمالي المتطور بين الدور البارز للدولة والهستدورت ليس فقط في توجيه الاقتصاد وانما كمالك لوسائل انتاج وبين تعاظم وتزايد قوة الرأس مال الخاص - كل هذا بعد ان قامت الدولة بالمشاريع الاقتصادية الاساسية (ما يسمى بمشاريع البنية التحتية Infrastructure) حتى عام ٦٧.

لقد سارع انفتاح سوق جديدة قدمت اكثر من مليون مستهلك من سكان المناطق المحتلة ، بالاضافة الى الايدي العاملة الرخيصة التي زودت بها المناطق المحتلة الاقتصاد الاسرائيلي في عملية تراكم رؤوس الاموال وفي ازدهار الصناعات الاستهلاكية وقطاع الخدمات (القطاع الاساسي الذي يستخدم الايدي العاملة الرخيصة) بما في ذلك البناء - وادى كل هذا الى توفر رؤوس اموال وايدي عاملة اسرائيلية للصناعات المتطورة التي تلاءمت في نفس الوقت مع موقع اسرائيل الجديد في المنطقة والعالم.

وعجلت موجة العسكرة السياسية التي اجتاحت اسرائيل بعد الحرب وتدفق رؤوس الاموال الاجنبية والمعونة الاميركية وتوسع السوق المحلي في عملية عسكرة الاقتصاد الذي كانت احدى مظاهره استخدام متقاعدي وخريجي الجيش (الذين اظهروا قدرات تنظيمية هائلة وجذابة لارباب الصناعة) في

Digitized by Birzeit University Library

رئاسة او ادارة قسم كبير من مجالس ادارة الشركات الكبرى في اسرائيل . ولكن لم يكن ذلك في يوم من الايام المظهر الاساسي للعسكرة ، فمنذ اليوم الاول الذي "اختارت" فيه اسرائيل ، وأقصد اسرائيل حرفيا اي قطاعها الاقتصادي العام (الدولة والهستدروت) هذا الطريق للتصنيع المتطور (انطلاقا من سلطة تطوير وسائل القتال "رفائيل") لم تعد هنالك سلطة على دينامية تطور هذا القطاع .

أ) فالسياسة اثبتت هنا مبادرة في الاقتصاد . الدولة اختارت هذا الطريق ولا يهم اذا كان هذا الخيار حرا تماما ام لا.

ب) بعد ذلك اخذ الاقتصاد يدفع السياسة باتجاه العودة على هذا "الخيار" باستمرار.

ومن الناحية الاقتصادية الصرف يظهر ان هذا الخيار هو خيار طبيعي لدولة تريد التصرف كدولة صناعية ، من حيث المنافسة في السوق العالمي ، فبعد مرور ٣٠٠ عام على الثورة الصناعية بدا ان هذا المجال هو اسهل مجال للمنافسة بسبب وجود فجوات ليست حقل تنافس بين الدول الصناعية الكبرى عند الحديث عن تصدير الاسلحة ، خاصة في تلك المناطق التي تؤثر فيها معوقات سياسية مثل الرأي العام المحلي والعالمي. اي في اكثر المناطق ظلاما في العالم - حيث ترفض السياسة في الدول الاكثر مسؤولية ان يكون سيلان لعاب الاقتصاد مبدؤها الوحيد ، في حين يسيل لعاب الاثنين معا في دول مثل اسرائيل وجنوب افريقيا.

فاذا كانت السياسة العدوانية الاكثر عداء للانفراج الدولي والاكثر ارتباطا بالامبريالية هي التي دفعت بعجلة الاقتصاد في هذا الاتجاه ، فان الاقتصاد يدفع السياسة في اتجاه اكثر عدوانية بما في ذلك انجاز الاعمال القذرة للامبريالية والتورط في مناطق بعيدة جدا عن "المجال الاستراتيجي الاسرائيلي" ، حتى ذلك الذي حدده شارون من الباكستان الى المغرب.

هذا جزء من تأثير العاملين الاقتصاديين الرئيسيين النابعين من الاحتلال وهما المعونة "الخارجية" الاميركية والمردود الاقتصادي (او فائض القيمة) المتوفر من السوق الاستهلاكي غير المنتج في المناطق المحتلة والايدي العاملة الرخيصة . لم اتطرق بالطبع الى نشوء اقتصاد طفيلي كامل في بداية السبعينات يعيش من المضاربة ، ومن عدم ثبات السوق نتيجة لهذه العوامل "الخارجية"، والى ازمة الزراعة الاسرائيلية التي اخذت ترتبط اكثر فاكثر باحتياجات السوق العالمي وتبتعد عن ميكنزمات السوق المحلي - هذه الازمة التي تزداد كلما ازداد تطور قوى الانتاج ، وكلما ازدادت انتاجية العمل في الزراعة.

(٢)

لكن السؤال الذي يتردد في بعض الاوساط اليسارية الاسرائيلية والوطنية الفلسطينية يطرح قضية مدى ارتباط الاقتصاد في المناطق المحتلة مع الاقتصاد الاسرائيلي او ما يسميه الباحث الاسرائيلي بنفشتي - "التطور الذي لا عودة فيه" . هذا السؤال الهام لم يتلق اجابة بعد، واشك فيما اذا كان سيتلقى جوابا كافيا في يوم من الايام.

من الواضح ان العامل الفلسطيني يراكم فائض قيمة اسرائيلي - كما كان العامل الهندي يراكم فائض قيمة انجليزي (عندما يعمل للرأسمالية الانجليزية بالطبع) والجزائري فائض قيمة فرنسي .. الخ ، هذا اذا ليس بالامر الجديد ولم يبدأ في فلسطين، ماذا يعني اذا الارتباط او الاندماج الاقتصادي الذي يزيد على ارتباط او اندماج اي مستعمرة بالدولة المستعمرة (بكسر الميم) ؟

Digitized by Birzeit University Library

هل هو القرب الجغرافي ؟ لا شك ان للقرب الجغرافي اهمية هائلة في عملية الاندماج فقلة مصاريف المواصلات التي تسهل من تسويق البضائع، والذهاب للعمل في الدولة المستعمرة دون الهجرة اي دون تحول الاندماج الى اندماج مع المهاجرين مع بقاء المستعمرة خارج هذه العملية اضافة الى عدم الحاجة الى تصدير رؤوس اموال ، فرؤوس الاموال تبقى داخل الدولة المستعمرة وتبقى المستعمرة على هامش اقتصادها الوطني ، كل هذه العوامل هي عوامل دمج ولكنها تحمل في داخلها نقيضها. فالاندماج الناجم عن عدم ضرورة تصدير رؤوس الاموال - هوعدم اندماج في نفس الوقت لانه يعني تفاوت وانفصال مع انه التفاوت بين الهامش والمركز ، او هو اندماج غير عضوي بين مناطق متخلفة وتابعة وبين مركز متطور.

ولا اود ان اعود الى القرن التاسع عشر (النرويج والسويد) ولا الى صراعات وطنية لا تزال محتدمة (ناميبيا وجنوب افريقيا او ايرلندا الشمالية وبريطانيا) بل تكفي امثلة مثل الباكستان وبنغلاديش لتفنيد ادعاء القرب الجغرافي كتبرير الوحدة السياسية.

هل هو عامل الاستيطان ؟

مرة اخرى علينا ان نحدد باي معني تساهم المستوطنات في عملية الدمج وباي معنى تحمل هذه العملية في داخلها نقيضها - فمن المتعذر القول ان المستوطنات اليهودية في المناطق المحتلة تشكل جزءا من الاقتصاد المحلي ، والحقيقة هي انها جزء مندمج كلية بالاقتصاد الاسرائيلي ودون ان يجر وراءه المناطق المحتلة وبهذا المعنى تبقى المستوطنات حتى الان جسما اقتصاديا غريبا لا يشكل مع المناطق المحتلة وحدة اقتصادية عضوية.

وعند الحديث عن الاهمية الاقتصادية للمستوطنات بالنسبة لاسرائيل ، يطرح السؤال : هل تزيد اهميتها الاقتصادية عن اهمية المستوطنات الفرنسية في الجزائر قبل الاستقلال ..؟

نستطيع ان نزيد في قائمة العوامل التي تسرع وتسهل الاندماج بين الاقتصادين خاصة في مناطق محتلة كمنطقة شرقي القدس ، مثل زيادة رؤوس الاموال الفلسطينية المستثمرة عن طريق البنوك الاسرائيلية وازدياد الاستثمار في قطاع الخدمات والتجارة المرتبط "بالزائر" او "السائح" الاسرائيلي .... الخ . كما انه من الممكن ان نستحضر تطور بعض الصناعات الاستهلاكية في المناطق المحتلة كمثال على الاندماج ، بنفس الدرجة التي يستحضر فيها ليثبت استقلالا اقتصاديافمن اينتحصل هذه الصناعة على المواد الخام واي ضرائب تدفع ، واين يستثمر فائض القيمة الناتج والى اي سوق تتجه انظارها... الخ؟ كلها اسئلة تنتظر الاجابة، ولكن ايا كانت الاجابة سوف تلقي الضوء على طبيعة العلاقة بين البرجوازيات الثلاث في اسرائيل والضفة الغربية وشرقي الاردن ، ولكنها لن تحدد مباشرة مستقبل الحلول السياسية.

ليس هنالك تعريف متفق عليه لمعنى الاندماج الاقتصادي ، وحتى اذا توصلنا اليه ، فهل ستكون المناطق المحتلة (باي معنى من معاني الاندماج) اكثر اندماجا مع اسرائيل من شق المانيا الغربي مع شقها الشرقي قبل الحرب العالمية الثانية ، تلك الحرب التي ادت الى تقسيمها ؟ لماذا اقول ذلك ؟ لقد جلبت هذا المثال المتطرف لاثبت سخافة الاستنتاج المباشر من الاقتصاد الى السياسة حتى لو تمنطق بجلباب الماركسية - فهو لا يعدو كونه استنتاجا فظا.

ان الصراع من اجل التحرر الوطني هو صراع سياسي وليس اقتصاديا . وهو بالطبع ينطلق من واقع اقتصادي معين وله نتائج اقتصادية بعيدة المدى ، ولكن الارتباط او الاندماج عند الحديث

Digitized by Birzeit University Library

عن معركة التحرر الوطني هو اندماج سياسي. وربما ينشأ في يوم من الايام وضع يطرح فيه شعار سياسي اخر غير شعار الدولة المستقلة ،

ولكن محفزات هذا الطرح ان حدث ستكون دائما

محفزات سياسية (لان الظروف السياسية - النابعة عن الاقتصاد في نهاية الامر ، وفقط في نهاية الامر ، كما يحلو لانجلس ان يقول - قد تغيرت). واذاكانت الدولة الفلسطينية ستنشأ ، فلن يكون ذلك بفعل الاستقلال الاقتصادي الذي لم تحققه اية مستعمرة قبل استقلالها السياسي (ولا حتى بعده بمعنى معين).

ان الاعتقاد بالوحدة السياسية نتيجة للارتباط الاقتصادي ، والاعتقاد بان الانفصال واقامة الدولة ينجم عن التطور الطبيعي والتدريجي وقيام اقتصاد مستقل / هما وجهان لنفس العملة.

ان التطورات الاقتصادية الجارية في المناطق المحتلة وفي اسرائيل هي تطورات لا عودة فيها (وهو الفرق بين التطور ومجرد الحركة) - ولكن هذا لا يعني ان الضم امر محتوم ، الا اذا نشأت ظروف سياسية جديدة وحركة تحرر وطني فلسطيني جديدة تدعو الى غير الدولة المستقلة. ليست الدولة الفلسطينية شعارا مقدسا ولا طريقا وحيدا للتطور التاريخي كما ان الدولة اليهودية ليست كذلك - ولكن الطريق السياسي الصحيح هو ليس فقط الطريق الممكن موضوعيا بل والمقبول ذاتيا ايضا، اي الذي قد توجد قوى اجتماعية معنية بتحويله من الممكن بالواقع الى القائم بالفعل.

من الممكن البرهنة اقتصاديا ان ارتباط المناطق المحتلة بالاقتصاد الاردني (التسويق ، والايدي العاملة والاستثمارات) لا يقل بدرجة كبيرة عن ارتباطها بالاقتصاد الاسرائيلي، فلماذا لا نطالب بالضم الى الاردن . كما انه من الممكن ان نثبت ان مردود المناطق المحتلة الاقتصادي لاسرائيل - وهي تحتل المكان الاول من حيث حجم "الصادرات" الاسرائيلية اليها لا يقل عن المعونة الاميركية لاسرائيل ، فتصور اسرائيل بدون المناطق المحتلة ليس اكثر صعوبة من تصورها بدون المعونة الاميركية ، فهل علينا اذن ان نطالب باستمرار التحالف السياسي - العسكري بين اسرائيل والولايات المتحدة ؟

هذه الاسئلة هي من نوع الاسئلة التي لا تطرح اثناء العمل السياسي ، الذي يجري لتحقيق هدف ، يترتب عن العمل في الطريق اليه تغيرات في الظروف الاقتصادية والسياسية ، تجعل تحقيقه او تحقيق بدائل اخرى له امرا ممكنا.

تطالب الحركة الوطنية الفلسطينية بالاستقلال والانفصال عن الاقتصاد وعن السياسة (الحكم) الاسرائيلي - وهذا امر ممكن (ممكن وليس مؤكدا) اذا وجدت القوى الكافية لتحقيقه، وهو امر غير ممكن اذا لم توجد هذه القوى . والامر الاكيد انها لن توجد اذا انشغلت في محاولة الانتصار الاقتصادي على اسرائيل الامر لم ولن تحققه اي حركة وطنية ضد الدولة المستعمرة (بكسر الميم) . صحيح ان الاحتلال يشكل ربحا اقتصاديا لاسرائيل، وبهذا المعنى تمول هذه المناطق عملية قمعها - ولكني لا ارى في هذه الحقيقة اي جديد ، فهي تنطبق على كل احتلال - وفي اللحظة التي يصبح فيها خاسرا لا يحول امر دون تصفيته.

والسؤال الذي تطرحه على نفسها اي حركة وطنية هو - كيف يصبح الاحتلال خاسرا ؟ لا تستطيع برجوازية الشعب الواقع تحت الاحتلال ان تجعل هذا الاحتلال غير مربح عن طريق المنافسة الاقتصادية ، ولكنها تستطيع بانضمامها الى الحركة الثورية للشعب الواقع - تحت نير الاحتلال - ان تساهم في عملية جعل الاحتلال خاسرا.

ان المزاحمة والتنافس الاقتصادي هو من

Digitized by Birzeit University Library

زاوية معينةالشكل العنيف للاندماج وما الاصوات التي ترتفع بين الفينةوالاخرى في شرقي القدس طارحة بدائل للاستقلال الا تعبير عن الاندماج الاقتصادي لذلك الجزء من البرجوازية الفلسطينية، وما التردد الذي يرافق تلك الدعوات ، من الضم الى الدولة الى الاوتونومية ، سوى تعبير عن مخاوف هذه البرجوازية ، فمن ناحية الممارسة الاقتصادية الفعلية المرتبطة بالبرجوازية الاسرائيلية ، ومن ناحية اخرى المخاوف النابعة من التمييز الذي يلحق بهذه البرجوازية نتيجة للصراع القومي ، اي بكلمات اخرى نتيجة للاحتلال.

(٣)

تغيرات في البنية الطبقية :

١- ما يهمنا في بنية الصراع الطبقي داخل المجتمع الاسرائيلي هي تلك الجوانب التي نشأت او تبدلت بتأثير الاحتلال او بكلمات اخرى ، تحديد الاحتلال للصراع الطبقي. وحول هذا الموضوع تطرح اراء عديدة في الادبيات اليساريةوغير اليسارية الاسرائيلية . وان كان هناك شبه اتفاق حول حقيقة كون المجتمع الاسرائيلي اكثر مساواة قبل عام ٦٧ منه بعد عام ١٩٦٧ . فيوجد هنالك من يدعي ان المجتمع الاسرائيلي قبل العام ٦٧ لم يكن مجتمعا رأسماليا.

وبرأيي وان كان هذا الادعاء يعكس ازمة ايديولوجية للمجتمع الاسرائيلي (وبالتحديد ازمة حركة العمل) وميلٍ الى الرومانسية الى ما كان قبل عام ٦٧، الى مجتمع الطلائعيين والمستوطنين الاوائل "الذين انتصروا على الصحراء وعلى المستنقعات رافعين راية العلمانية والاشتراكية ... الخ" ، الا انه يعكس جانبا من الحقيقة.

لقد قامت الدولة بالاضافة الى المؤسسات الصهيونية بالدور الاساسي في ارساء القاعدة الاقتصادية للصناعة والزراعة المتطورة في اسرائيل . ولقد ظهر رأس المال المستثمر في هذه الفترة على شكل مشاريع القطاع العام او على شكل اقتصاد تعاوني . وساهمت ايديولوجية حركة العمل الصهيونية ومشاعر الحماية والتضامن التي ميزت المستوطنين في خلق انطباع المشاركة والمساواة ، في حين كانت الدولة تخلق عمليا القاعدة الاقتصادية اللازمة لتطور رأس المال الصناعي والزراعي . وعلى الرغم من الفارق الكبير في الظروف التاريخية ، الا ان اليسار العربي وقع تماما في مثل هذا الخطأ عند خلطه بين مشاريع الدولة والقطاع العام والاصلاح الزراعي بعد الاستقلال، او بعد الثورات الوطنية في العالم العربي ، مع الاشتراكية او مع الخطوات الاشتراكية - لقد كانت الدولة في مرحلة وضع القاعدة الاقتصادية اللازمة لتطور راس المال هي القوة الاقتصادية الاساسية في غالبية بلدان العالم الثالث ، ومن الخطأ التعامل معها كمجرد مبنى فوقي ، فهي تصبح كذلك بعد ان تكتمل البنية التحتية التي تساهم في خلقها.

بعد ان قامت الدولة بارساء القاعدة الاقتصادية (الطاقة ، المواصلات ، صناعة الحديد والصلب، تكرير النفط، مشاريع املاح البحر الميت، استصلاح الاراضي بعد مصادرتها، مشروع المياه القطري ، الحماية الجمركية .. الخ) كانت حرب ٦٧ . وكان ان حصل رأس المال الاسرائيلي ، على افضل الظروف الممكنة للتراكم . لقد كبر سوق الاستهلاك بحوالي النصف بضربة واحدة ، وانهالت الاستثمارات اليهودية وغير اليهودية على دولة اسرائيل ، اضافة الى اموال المعونة الخارجية الاميركية التي عادلت في العديد من

Digitized by Birzeit University Library

المنوات ٢٠٪ من مجمل ما تقدمه الادارة الاميركية من معونات لحلفائها في العالم . لقد ساهمت هذه العوامل في دفع رأس المال الاسرائيلي باتجاه معين جدا ، ولكن علينا الا ننسى اننا ساهمنا في دفعه وتطوره . منذ ذلك الوقت بدات تظهر وبشكل واضح جدا معالم التركيب الرأسمالي للدولة ، ربيب الحروب ، والتوسع والمعونة الاميركية.

من الواضح ان الرأسمالية الاسرائيلية ، وان كانت متطورة قياسا بالعالم الثالث ، خاصة اذا اخذنا الصناعات العسكرية المتطورة ، وراس المال الزراعي المتطور وانتشار الاتمتة والحاسبات الاليكترونية في الصناعة بعين الاعتبار ، لكنها تبقى مع ذلك رأسمالية تابعة ، ولقد اثبت فشل الحلم الاسرائيلي الاخير حول صناعة طائرة مقاتلة اسرائيلية (اللافي) وانشاء صناعة عسكرية اسرائيلية مستقلة صحة هذا الادعاء الى حد بعيد . ولم يكن تبدد حلم اليمين الاسرائيلي نابعا عن مجرد اطاعة اوامر الاميركان ، كما يحلو لشارون وغيره من وزراء الليكود ان يدّعوا- بل نابع عن الطاعة الحتمية لقوانين الاقتصاد ، ولو انشأ هو او غيره ديكتاتورية يمينية في اسرائيل ورفض طاعة اوامر الولايات المتحدة فانه سيضطر الى طاعة اوامر اقتصاده.

ان الحديث عن التبعية في هذه الحالة قد يطمس الفوارق بين اسرائيل وبين اي دوله تابعة في اميركا اللاتينية تتحكم في اقتصادها احتكارات مثل يونايتد فروت او كوكا كولا. ولذلك من الضروري ان ندقق في استخدام المصطلحات ، ونقول : اقتصادا متطورا وليس مجرد اقتصاد تابع.

والقضية ليست مجرد خلاف مصطلحاتي Terminology ، فعلى المصطلح ان يعكس الواقع والا تحول الى شعار فارغ ، مثل التصورات الجارية والمنتشرة في وسطنا والتي تعكس صورة غير صحيحة عن طبيعة العلاقة بين الولايات المتحدة واسرائيل ، وكأنها علاقة السيد بالعبد او الآمر بالمأمور. صحيح ان المصطلحات تبدأ بالتعبير عن افكار ولكنها ما تلبث ان تضع اطرا ومسارات معينة لعملية التفكير . فاذا كانت اسرائيل مجرد دولة تابعة هذا يعني ان الولايات المتحدة قادرة على كل شيء وهذا يعني الفكر الرجعي العربي القائل ان علينا ان نضغط اذن على اميركا او ان نقنع اميركا انها مخطئة وان مصالحها عندنا وليس عند اسرائيل ... وغير ذلك من حجج "العقل المؤامراتي العربي" الذي قاد الامة العربية الى التحالف مع اميركا حليفة اسرائيل والذي تحول موضوعيا، قبل وبعد نشوء الذات الساداتية ، الى حليف لاسرائيل.

رأس المال الاسرائيلي هو رأس مال مرتبط حتى النخاع بالاستثمارات الاميركية والمعونة الاميركية والى حد بعيد ايضا بدول السوق الاوروبية المشتركة. ولكنه رأس مال متطور وهذا يعني ان لديه ديناميته الداخلية، وهو يبحث عن افاق لتطور مستقل نسبيا في اسيا وافريقيا . هذه هي الجدلية الاساسية او التناقض الاساسي الذي يحدد تطور راس المال الاسرائيلي والطبقة التي تجسده.

٢) ولا اوافق باي حال من الاحوال الرأي القائل ان الحزبين الكبيرين في اسرائيل انما يعكسان طرفي هذا التناقض ، وذلك بتمثيلهم مصالح مختلفة داخل الطبقة المسيطرة اقتصاديا في هذه الدولة ، تماما كما لا اوافق اولئك الذين يطرحون تمثيل الحزبين الديمقراطي والجمهوري لفئات تختلف مصالحها الاقتصادية داخل الطبقة الحاكمة في الولايات المتحدة. وانما في رايي، يعكس الحزبان الكبيران تصورين مختلفين لكيفية خدمة مصالح الطبقة الرأسمالية

Digitized by Birzeit University Library

كطبقة لا كفئات. فمع التطور الحاصل في الدول الرأسمالية الحديثة وتحول البنوك الى قوة الاستثمار الاساسية لم يعد هنالك مشروع واحد ضخم لا تساهم فيه قطاعات راس المال المختلفةعن طريق البنوك ، هذا اذا استثنينا مشاركة المساهمين الصغار والعمال والموظفين الذين تستوعبهم المضاربة في البورصة وشراء الاسهم ، والذين لا يملكون اي تأثير على عملية اتخاذ القرارات في مجالس ادارة الشركات الكبرى.

وعند الحديث عن العلاقة بين مصالح الفئات الحاكمة وبين اتخاذ القرار السياسي ، تحضر الكثيرين تلك الفكرة القائلة بان وراء القرارات الاكثر عدوانية تكمن الصناعة العسكرية ، ووراء القرارات السياسية السلمية تكمن الصناعة الاستهلاكية . ومع ان عملية اتخاذ القرارات وانعكاس المصالح الاقتصادية للرأسمالية في عملية اتخاذ القرارات السياسية هي اكثر تعقيدا وتركيبا من هذه المعادلة البسيطة الا انني اود ان اضيف وبلغة هذه المعادلة التبسيطية ما لا يراه اصحابنا، وهو ان المجمعات الصناعية الاستهلاكية قد تكون اكثر عدوانية من المجمعات الصناعية العسكرية عند تضرر مصالحها او تعرضها للخطر في دول العالم الثالث ، بل وما زالت هذه الصناعات هي الاكثر تورطا والاكثر استفادة من استغلال الدول النامية.

وغالبا ما تظهر الاحزاب الكبيرة التي تتناوب على السلطة الى الجماهير ووسائل الاعلام ببرامج سياسية مختلفة تترك اعظم الاثر في مستوى واسلوب حياة الشعب ، والقضية ليست مجرد تمثيلية ، فالخلافات السياسية والفكرية بين هذه الاحزاب موجودة فعلا ـ لكن هذا لا يعني ان هذه الخلافات تمثل مصالح اقتصادية مختلفة تقسم الطبقة الحاكمة الى قسمين، كل منهما يتمثل بحزب مختلف ، وانما يعني خلافا ، غالبا ما يكون جديا بل ومصيريا ، حول افضل السبل لتأمين استمرار سيطرة هذه الطبقة في الظروف المحددة.

ولكن والى جانب هذا العامل تدخل عوامل اخرى علينا الا نهملها عند الحديث عن الاحزاب الحديثة في العالم الرأسمالي المتطور . لقد شكلت هذه الاحزاب اجهزة بيروقراطية ديناميتها الخاصة نسبيا ومصالحها الخاصة في الوصول الى السلطة وممارستها، الامر الذي يمنحها القوة في التاثير او يمنحها وظائف وامتيازات تصبوا اليها عندما تكون في المعارضة ، والى جانب ذلك هنالك التقاليد الفكرية وتاريخ هذه الاحزاب ، وفي حالة اسرائيل التي لا تجري فيها انتخابات مباشرة لرئيس الجمهورية ، ولا تجري فيها انتخابات البرلمان بحسب توزيع مناطق يتنافس فيها اشخاص يمثلون احزابا معينة ، يتعاظم اكثر فاكثر دور الاحزاب ويلعب العاملان الاخيران اي مصالح الحزب الخاصة والمستقلة نسبيا وتقاليده الفكرية دورا هاما جدا، الى درجة تنسينا في بعض الاحيان مصالح الطبقة الحاكمة التي تقف وراء هذه الاحزاب.

٢) مع ازدياد الاستثمارات والتوسع الذي شهدته القطاعات الصناعية المختلفة ازداد وزن وحجم الطبقة العاملة الاسرائيلية في المدن الكبرى وفيما يسمى مدن او مناطق التطوير . وقد حاولت منظمة الهستدروت وهي تنظيم عمالي يهودي استيطاني (وافق بعد سنوات من قيام الدولة على انضمام العمال العرب الى صفوفه) استيعاب هذا التوسع الهائل في صفوف الطبقة العاملة . ولكن عدا ارتباطه كليا بحزب العمل المرتبط بدوره بمصالح الطبقة الحاكمة اصبح الهستدروت اكبر مشغل في الدولة مع توسع شركاته واستثماراته ، واولها بنك هبوعليم ركونسيرتيوم كور بتشعباتها المختلفة ومقر شركة تصنيع وتسويق المواد الغذائية "تنوفا"

Digitized by Birzeit University Library

لم يكن الهستدروت في يوم من الايام قائدا لنضال طبقي سياسي في اسرائيل ، واقتصر عمله طيلة الفترة حتى عام ٦٧ على العمل النقابي الاقتصادي الى جانب المشارك في بناء المشروع الصهيوني طبعا ، ولكن وبعد عام ٦٧ ، بعد تمركز الاقتصاد وتطور الطبقة العاملة عدديا على الاقل لم يعد الهستدروت يستوعب حتى المعارك النقابية التي تشنها الطبقة العاملة الاسرائيلية، وبدأت عملية تشكيل اللجان العمالية الكبرى التي تشن الاضرابات المهنية وتحول الطابع القومي للعمل النقابي الى طابع مهني ، اي ان الصراع النقابي في حال وقوعه يجري تحت اسم عمال شركة الكهرباء او عمال الموانيء او الاطباء .. الخ دون ان تخف الطبقة العاملة كمجموع في تنظيمها الهستدروتي لنجدتهم ، بل واخذت الاضرابات تأخذ شكلا تنافسيا داخل الطبقة العاملة مما زاد من تفككها او تحولها الى مجموعة من المهن ، وقلل من امكانية تحركها كطبقة ، اي كذات عضوية قائمة بذاتها يزيد كيانها على مجرد مجموع افرادها. اضافة الى ذلك بدأت القطيعة مع حركة العمل الصهيونية تتغلغل داخل الطبقة العاملة في المدن ومناطق التطوير بعد ان كانت حركة العمل الصهيونية هي الممثل الاوحد للعمال العبريين منذ بدأ استيطان فلسطين.

وماذا حصل لبنية الطبقة العاملة الاسرائيلية بعد الاحتلال ؟

قلنا انها توسعت عدديا مع ازدياد الاستثمارات وتوسع السوق المستهلك وزيادة المعونة العسكرية - ولكن الى جانب ذلك حصلت هنالك تغيرات بنيوية اولها واهمها نشوء ما يسمى بارستقراطية الطبقة العاملة . ولا اقصد بذلك نشيطي النقابات او تضخم الجهاز البيروقراطي رفقة موظفي الياقات البيضاء الذين ينقسمون في انتمائهم الى الطبقات الحاكمة والمحكومة ، او يشكلون فئة وسطى قائمة بذاتها تتقاطع مع الطبقتين - وانما اقصد عمال الشركات والاحتكارات الكبرى مثل الصناعات الجوية وغيرها والذين يحصلون على امتيازات تمكنهم من المعيشة في نفس مستوى معيشة الفئات الوسطى.

انه نفس النقاش القديم الذي دار بين ماركسيي اوروبا في الستينات والذي تمحور حول نقطتين اساسيتين:(١) سمح تراكم راس المال وتطور قوى الانتاج اضافة الى تعاظم قوة النقابات بان تشارك اجزاء من الطبقة العاملة بجزء ضئيل من فائض القيمة على شكل امتيازات في الاجور يزيد من قدرتها الاستهلاكية الى درجة افسادها. فالاستهلاك المادي والفكري (وهنا تذكر غالبا الثورة في وسائل الاتصال وتقنية السيطرة على العقول) يصنع الحاجات الانسانية او يجعل من الفرد مجموعة من الحاجات الاستهلاكية المقررة سلفا ، الامر الذي يؤدي في نهاية الامر الى اندماج الطبقة العاملة بالمجتمع الرأسمالي. (٢) استفادة الطبقة العاملة في الدول الرأسمالية المتطورة من استغلال شعوب العالم الثالث ، ان حصولها على فتات وليمة امتصاص دماء هذه الشعوب ، وهذا يعني ان لهذه الفئات من الطبقة العاملة ما تخسره اكثر من قيودها اذا تحررت شعوب العالم الثالث اقتصاديا وليس فقط شكليا.

ليس بوسعي عند طرحي لهذه الافكار حول المجتمع الاسرائيلي ان احسم هذا النقاش الذي ما زال دائرا وسيستمر كذلك لفترة طويلة ، وربما اتضح ضمنيا جزء من الحل خلال معالجة الطبقة العاملة الاسرائيلية . واذا تجاهلنا النقطة الاولى اي تطور قوى الانتاج والسلع الاستهلاكية ووسائل الاتصال الى درجة دمج العامل بالمؤسسة الرأسمالية ، واذا تجاهلنا الجانب العام والعالمي من النقطة الثانية اي استفادة العمال في الدول

Digitized by Birzeit University Library

الرأسمالية المتطورة من فائض قيمة عمل كادحي العالم الثالث ، يبقى السؤال المطروح : اية فئات من الطبقة العاملة الاسرائيلية استفادت وما مدى استفادتها من الاحتلال ؟

لا شك ان بعض الفئات من الطبقة العاملة الاسرائيلية ، خاصة ما اسميته ارستقراطية الطبقة العاملة الاسرائيلية ، استفاد من استغلال المناطق المحتلة ومن المعونة والاستثمارات التي تغدقها الامبريالية العالمية وخاصة الاميركية على اسرائيل ، واتخذت هذه الاستفادة شكلا مفضوحا في سنوات حكم الليكود منفردا ، عندما انتهج ما يسمى الان بالاقتصاد المجنون او الاقتصاد الانتخابي او الشعبوي ، اي رشوة المواطن الاسرائيلي بشكل مفضوح على حساب احتياطي الدولة من العملة الصعبة.

ولكن في الوقت الذي ازدادت فيه ارستقراطية الطبقة العاملة التي استفادت من الاحتلال ، الى جانب بروز فئات واسعة من البرجوازية الوسطى (خاصة في المدن) تعيش من المضاربة بالاسهم والتهريب واليد العاملة الرخيصة ، في نفس الوقت تدهورت فئات جديدة تعتاش على مستويات الاجور الدنيا الى اسفل السلم الاجتماعي او ما يسمى بلغة الاقتصاد الاسرائيلي - ما تحت خط الفقر.

ان استفادة هذه الفئة او تلك من الاحتلال هي قضية تحسمها الارقام والاحصائيات ، التي لم استخدمها ابدا في طرحي لافكاري هذه والتي اقبل ان تسمى فرضيات. والفرضية التي سأطرحها هنا ان هذه الفئات الدنيا من الطبقة العاملة والتي تتكون باغلبيتها من اليهود الشرقيين ومن العمال العرب مواطني الدولة لم تستفد بتاتا من الاحتلال ، لم اقل ان اغلبية اليهود الشرقيين او اغلبية العرب هم من العمال ، كذلك لم ادّعِ عدم وجود فئات من اليهود الشرقيين ومن العرب استفادت جديا من الاحتلال . وباعتقادي انه من الممكن اثبات هذه المعطيات احصائيا ولا يمكن اثباتها بشكل اخر - وهذا يعني انه حصل هنالك استقطاب داخل الفئات العاملة عدا الاستقطاب الذي لحق بالمجتمع باكمله.

تغير اخر هام هو ذلك المرتبط بتطور قوى الانتاج وزيادة اعداد الباحثين والمهندسين والعمال المهنيين المهرة وتحول العمال اليدويين الى اقلية في الكثير من الصناعات ، هذا التزحزح الذي حدث لمواقع فئات واسعة من العمال اضافة الى الزيادة في كوادر الموظفين والمدراء جاء بكوادر من اليهود الشرقيين والعرب سكان اسرائيل لتأدية المهام القديمة ، والذين احتلت مواقعهم بدورها من قبل ايدي عاملة رخيصة من المناطق المحتلة خاصة في مجالات البناء والخدمات وقطف المحاصيل الزراعية ولكن ايضا في بعض الصناعات.

٤) وحول ما يعنيه هذا التحول في بنية الطبقة العاملة الاسرائيلية اود ان اطرح السؤال التالي: هل يعني هذا الاصطفاف الجديد داخل الطبقة العاملة ان يتحول اليهود في اسرائيل تدريجيا الى مشغلين (ارباب عمل) والعرب الى عمال ؟ والجواب القاطع الان هو لا .

من السهل على انسان يراقب صناعة النسيج او قطاع الخدمات او قطف المحاصيل الزراعية ان يقوم بتعميم مفاده ان العمال في اسرائيل هم العرب وان المشغلين هم اليهود . ولا شك ان هذا التعميم يعكس جانبا واحدا من الحقيقة وهو الجانب الذي عمم على كافة اجزاء الطبقة العاملة ففقد صحته. لا يمكن تخيل صناعات مثل النسيج والبناء (اذا اعتبرناه صناعة) والمشاغل المتوسطة والصغيرة بدون العمال العرب - ولكن من الممكن تخيل الصناعة الجوية والالكترونية والصناعات الكيماوية والماس بدون العمال العرب الى جانب صناعات عديدة

Digitized by Birzeit University Library

اخرى يقوم فيها العمال العرب بالاعمال التي لا تحتاج الى مهارات.

صحيح ان قسما كبيرا وربما الاكبر من العمال العرب قد حصل على مهارات وكفاءات ، ولكن هنالك حواجز قومية تحول دون الترقية . في مدينة الخضيرة مثلا هنالك (مصنعان كبيران) ،في مصنع الورق بقي العمال العرب في اسفل السلم رغم الخبرة الطويلة والمهارة، اما مصنع المطاط فهو مغلق منذ البداية في وجوههم.

لا يشغل العمال العرب في اسرائيل اي جزء يذكر من "ارستقراطية" الطبقة العاملة ، ولكن الامر المثير للاهتمام هو ميل جزء كبير منهم بعد اكتساب المهارة للانتقال الى الاعمال الخاصة ، اي الاستعاضة عن الترقية في المؤسسة بالعمل خارج تلك المؤسسة ، او الترقي في السلم الاجتماعي دون الترقي في عملية الانتاج (السلم الوظيفي).

لن اطيل الحديث عن موضوع العرب في اسرائيل كخصوصية ، وانما سأتناولهم كما هم جزء من الموضوع اي المجتمع الاسرائيلي . ولا شك ان واقع العرب في اسرائيل هو واقع مزدوج بين المحفزات الاقتصادية للاندماج في المجتمع الاسرائيلي والارتقاء في سلمه (والذي لا تؤمنه على ما يبدو الا الاعمال والمهن الخاصة ، وهذا يعني اندماج بدون اندماج) وبين المؤسسة الصهيونية الحاكمة وعنصرية الشارع الاسرائيلي التي تمنع اي اندماج كان ، اضافة الى صعوبة المزاحمة من الناحية الاقتصادية الصرف . وصحيح ان الصهيونية ستكون حاجزا امام الاندماج في نهاية الامر، ولكن سياستها الراهنة ليست بهذه البساطة ، وفي دهاليزها، يجري حديث له اول وليس له اخر حول دمج السكان العرب في حياة الدولة ، ويساهم في احاديثهم وابحاثهم حول هذا الموضوع العديد من الخريجين والباحثين والمهنيين العرب الذين يريدون ايضا في نهاية الامر الارتقاء في سلم الاندماج - واكثر ما يلفت نظر هؤلاء المسؤولين والباحثين ومساعديهم العرب ، هو نشوء رأس مال عربي (عربي نسبة لانتماء اصحابه القومي اما من الناحية الاقتصادية فهو رأس مال اسرائيلي لا يوجد فيه قرش عربي واحد) من الممكن دمجه في حياة الدولة ، بدل ان يتحالف مع العمال والفلاحين المثقفين العرب خاصة بعد تجربة يوم الارض.

ولذلك نسمع في الاونة الاخيرة عن خطط الهستدروت لايجاد متنفسات لرأس المال المتراكم في الوسط العربي بمشاركته في خطط تصنيع وعن اسهم رأسماليين عرب تباع في البورصة... الخ وتبقى الاموال العربية المستثمرة هنا وهناك على هامش رأس المال الاسرائيلي ولا تؤثر في صنع قراراته - ولكن اندماجها المستمر يؤدي الى تقاطب في المجتمع العربي - لقد نشأت في هذا المجتمع قوى طبقية جديدة مستفيدة من الاندماج وفي نهاية الامر من الاحتلال ايضا - تلك القطاعات التي فتح لها الاحتلال مجالا للثراء بالتغيرات البنيوية التي احدثها في الطبقة العاملة والوسطى ، بالتجارة والسمسرة بين عملية الانتاج الاسرائيلية والمستهلك الفلسطيني، بسمسرة الايدي العاملة ... الخ ، ليس هؤلاء مجرد عملاء للسلطة الصهيونية وانما ممثلون لقطاع موجود فعلا في المجتمع العربي استفاد من الاحتلال.

ان صراع هذا القطاع من اجل المساواة ، هو في الحقيقة صراع من اجل المساواة في الفرص لرأس ماله ولاستثماراته... وهو بهذا يشبه العمل النقابي المهني شبها كبيرا ، فالمطلب هو المساواة - هكذا بدون سياسة . كل ما ينقص العرب في اسرائيل هو المساواة ، ولكن المساواة مع من ؟ انها كما المساواة داخل مجتمع المضطهدين . ومن اجل هذه المساواة في الحقوق المدنية بين اليهود

Digitized by Birzeit University Library

والعرب داخل مجتمع الاحتلال.

ينظر في هذه الايام العديد من المثقفين الذين يعبرون في نهاية الامر عن ازدواجية الموقف فهم لا ينسون ان يضيفوا الى المساواة - انهم من اجل قيام دولة فلسطينية. ولكن ما العلاقة بين الشعارين ؟ بالنسبة لهم لا توجد اي علاقة وقد توجد علاقة تضامن على الاكثر . وقد يجري كل هذا الكلام عن المساواة وعن الدولة الفلسطينية في اطار حزب العمل او على هامشه / وحزب العمل يسمح بكل ذلك بل ويشجعه، وهو يعي جيدا ان المساواة لن تتحقق في مثل هذا المجتمع، وحتى لو اراد هو تحقيقها فهو يعلم انه غير قادر على ذلك ، لقد ولى الى غير رجعة الزمن الذي يحكم فيه حزب العمل وحده اسرائيل حتى لو جلس في الحكومة وحده لبعض الوقت.

كانت هذه بعض المتغيرات التي حصلت في بنية وموقع العرب في اسرائيل بعد احتلال ١٩٦٧ ولم اتحدث عن المتغيرات السياسية وقضية الوعي القومي والوطني ... الخ فهذه موضوعة خاصة لا مجال للتوسع فيها في مثل هذا المقال.

(الحلقة القادمة - اليهود الشرقيون والقضية الطائفية في المجتمع الاسرائيلي).

* دراسات في الادب الفلسطيني

مجموعة دراسات الادب الفلسطيني المحلي

قدم لها الناقد نبيه القاسم ، تحوي مقالات لكل من اميل حبيبي، جبرا نقولا ، عيسى لوباني ، عفيف سالم ، د.اميل توما(ابن خلدون) ، محمد علي طه ، حنا ابراهيم ، عصام العباسي ، حنا ابو حنا، محمود درويش ، توفيق زياد، فتحي فوراني، علي عاشور، سالم جبران ، سميح القاسم ، انطوان شلحت.

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب

مشكلات اجتماعية

طلبة الجامعة "وِوقت الفراغ"

ناجح محمد جرار *

مقدمـــة

أ. الدافع لدراسة الاثار الاجتماعية المتعلقة بنظام وقت الفراغ وكيفية تمضيته وبشكل خاص عند الطلبة يعود اولا الى ظاهرة التعليم وخاصية الدراسات العليا الاخذة بالانتشار ، لذا لا بد ان يكون لها أثارها على المجتمع حيث اصبح في الضفة الغربية وقطاع غزة حوالي ست جامعات بالاضافة الى عدة كليات مجتمع وكليات للمعلمين والمعلمات ، ولكي تستمر هذه المؤسسات التعليمية في تأدية واجبها وبشكل فعال وايجابي لا بد من دراسة مختلف الجوانب المتصلة بهذه الظاهرة . ووقت الفراغ وكيفية استغلاله واثره على الطلبة يعتبر احد الجوانب التي هي بحاجة لان تدرس وتقيم باستمرار.

ثانيا: عدم توفر دراسات منهجية للمشاكل الاجتماعية المحلية والتي يمكن ان يقوم الطلبة - وخاصة طلبة مساق المشاكل الاجتماعية - بدراستها كنموذج لفهم وتحليل المشكلة سوسيولوجيا.

ب. للتعرف على الظواهر الاجتماعية لا يكفي جمع الحقائق المجردة حيث ليس لهذه الحقائق بذاتها اهمية سوسيولوجية ، وانما المعاني التي تشير اليها تلك الحقائق هي المهمة وهي الهدف من اي بحث سوسيولوجي. لان كلمة اجتماعي تشير الى العلاقات المتبادلة بين الناس والعلاقة تهتم بالتوقعات التي يتوقعها كل انسان من الاخرين بناء على المعاني التي يتضمنها سلوكه

* محاضر في قسم علم الاجتماع في جامعة النجاح الوطنية - نابلس وهو حائز على درجة الماجستير في التنمية الاجتماعية من جامعة سوانزي - بريطانيا.

Digitized by Birzeit University Library

وسلوك غيره وبالتالي فان العلاقات في المجتمع مرتبطة فيما بينها ومتأثرة ببعضها البعض مما يساعد على تحديد مكانة الافراد وادوارهم خلال النسق الكلي للعلاقات .

لذا فجمع الحقائق التي تساعد على وصف السلوك وصفا علميا دقيقا يكون اساسا لوضع فرضية تمكننا من التنبؤ بالسلوك الذي نلاحظه . ولكي نصل الى نتيجة مقبولة يفضل استخدام المنهج المقارن الذي يهدف الى توضيح ان الارتباطات التي لاحظنا وجودها من الوقائع هي ارتباطات لا تتواجد بمحض الصدفة ولكن بفعل الضرورة . ويمكننا القول ان الدراسات الاجتماعية لا زالت تستخدم البحث الاجرائي الذي يستخدم في المنهج العلمي من اجل وضع اساس تحليلي وموضوعي يعتمد عليه في التنبؤ من اجل اخذ قرار . ولم تتوصل الدراسات الاجتماعية بعد لاستخدام المنهج العلمي التطبيقي الذي يقوم على نظرية عامة ومباديء محددة وعلى درجة كبيرة من الثبات .

واذا فحصنا امكانية تحديد المشكلة الاجتماعية لوجدنا انها تتميز بعنصر ذاتي واخر موضوعي . يقول جون شيبرد(١) تتكون المشكلة الاجتماعية عندما تصبح الظروف الاجتماعية عائقا لتحقيق فئة من الناس تصبح المقدرة التنظيمية غير قادرة على تحقيق علاقات اجتماعية تؤدي الى استمرار المجتمع ، وتعود صعوبة تحديد المشكلة الاجتماعية لوجود العنصر الذاتي (حيث ظهر في التعريف السابق بطموحات ..) الذي يعتمد على القيم والمعتقدات والاتجاهات والمعايير وهذه جميعا متغيرة بحسب الاشخاص والزمان والمكان.

وهناك عدة محاولات لتحديد المشكلة الاجتماعية نذكر منها :

١. "الاتجاه الوظيفي" الذي يرى ان المشكلة الاجتماعية تظهر عندما تصبح الظروف الاجتماعية عائقا للحركة السلسة في المجتمع بحيث تتحدى تلك الظروف وظائف المجتمع ولمزيد من الايضاح يرى رواد هذا الاتجاه ان المشكلة الاجتماعية ناجمة عن حالة عدم التكيف الوظيفي . ويذهب هؤلاء الى ان الانساق الاجتماعية سواء كانت على مستوى وحدات صغيرة او وحدات كبيرة ، تواجه حالة من عدم الاتزان في النسق مما يؤدي الى نشوء شكل من اشكال عدم التكيف . وقد عبر عن هذه الحالة كل من :

(دوركايم ميرتون) باسم Anenie وخاصة القول ان المشكلة الاجتماعية من وجهة نظرهم ناجمة عن خلل داخل النسق الاجتماعي الذي يتكون بدوره من انساق فرعية وهذا الخلل يجب علاجه لاعادة النسق الى حالة التوازن من جديد . وهذا الاتجاه سوف نسترشد به في هذه الدراسة الاستطلاعية.

٢. "الاتجاه الصراعي": الذي يرى بان المشكلة الاجتماعية تظهر عندما تصبح مصالح وقيم فئة ذات نفوذ في المجتمع غير مشبعة لعدم توزيع الثروة والقوة والشهرة بالتساوي.

٣. "الاتجاه التفاعلي": والفكرة الاساسية لهذا الاتجاه هي فكرة الاعتبار الذاتي والتي نعني بها الافكار التي يكونها افراد المجتمع عن بعضهم البعض.

والمشكلة الاجتماعية تظهر عندما لا يكون هناك اتفاق على المعنى الاجتماعي بين الناس بمعنى ان يكون هناك فشل او نقص او عدم اكتمال عملية التفاعل على اسس سليمة . وحاول ميرتون (٢) ان يشخص المشكلة الاجتماعية بما يلي :

أ. المستوى الاجتماعي والواقع الاجتماعي، فالفرق بين المستوى الاجتماعي العام الذي

Digitized by Birzeit University Library

يشترك به عامة الناس والواقع الاجتماعي الذي يعاني منه بعض الناس يؤدي الى المشكلات الاجتماعية .

ب. "الجذور الاجتماعية للمشكلة الاجتماعية : اي تنشأ من مشاكل اجتماعية مرتبطة في البناء الاجتماعي وليست نتيجة حوادث خارجية كالزلزال .. وغيره

ج. "الفصل في المشكلة الاجتماعية : اي يجب ان يعطي الحكم اشخاص متخصصون لهم مقدرة على تشخيص الظروف والسلوك الانحرافي.

د. "هناك مشكلة واضحة واخرى مستترة وفي الحالتين نجد ان الظروف الاجتماعية تصبح مخالفة للقيم ، ولكن في الحالة الاولى تكون ظاهرة بينما في الثانية تكون مستترة وغير واضحة .

د . "الادراك الاجتماعي للمشكلة اي يجب ان لا يعتمد على ادراك العامة للمشكلة لانه يكون في الغالب ادراكا خادعا.

و. نظام القيم وقدرته على مواجهة المشكلة الاجتماعية ، فهناك القدرية التي تستسلم للقضاء والقدر وهناك الوضعية التي ترى ان الظروف يمكن تغييرها وتبديلها بقدر المعرفة التي نملكها .

ح. اما وقت الفراغ فهو نظام اجتماعي له اساليبه المقررة والمقننة والتي تخضع لمعايير راسخة وقيم ثابتة . ووظيفة النظام هي المحافظة على وجود تماسك في المجتمع ، ولكي يصبح وقت الفراغ نظاما اجتماعيا يجب توفر عنصرين هما : الحرية والوقت . المقصود بالحرية ان لا يكون هناك اجبار على القيام بسلوك معين لان هذا السلوك يصبح عبئا علينا يعكس ذلك السلوك الذي نتطلع الى القيام به هربا من المسؤوليات الملقاة على عاتقنا . اما الوقت فالمقصود ان الفراغ لا يمكن وجوده الا اذا اخذت الضروريات كفايتها من الوقت . اي لا بد ان يكون الانسان في حالة خلو مما يمكن ان تفرض عليه ظروف حياته العضوية او المعيشية واذا حاولنا القاء لمحة سريعة على وظيفة نظام الفراغ الاجتماعي وجدنا ان فائدته من الناحية الفسيولوجية كما اشار كار (٣) هي ان اللعب ينشط نمو الاعضاء ويقوي الجهاز العصبي ". اما وظيفته النفسية فتحدث عنها روبرتس (٤) فنذكر ان الانشطة التي يمارسها الناس خلال او قاتهم الحرة تلعب دورا هاما في تطوير احساسهم بكيانهم الذاتي ، اما وظيفته الثقافية فيشير اليها رالف جلاس (٥) بان النشاط خلال اوقات الفراغ ينمي القيم والثقافة كما يوضح كولي (٦) بأن الاشتراك في الحفلات والمباريات والالعاب الجماعية تزيد من قوة الترابط الاجتماعي.

والجدير بالذكر ان هناك ستة نماذج - اكتفي بذكرها هنا - حاول كل منها القاء الضوء على مفهوم وقت الفراغ ووظائفه واثره في المجتمع (٧) وهذه النماذج (Models) هي :

العلاجي - النظامي - الادراكي - الاجتماعي - الكلاسيكي - اللانفعي والنموذج التكاملي الكلي.

مما سبق تتضح صعوبة دراسة الظاهرة الاجتماعية سواء لتشابك الظواهر الاجتماعية وتأثيرها المتبادل مما يجعل من المستحيل عزل ظاهرة اجتماعية ودراستها بشكل منفرد ، او لعدم امكانية تطبيق المنهج العلمي التطبيقي والاكتفاء بالمنهج المقارن والبحث الاجرائي الذي يعتمد عليه في التنبؤ بمعرفة السلوك الانساني.

ومما يزيد الامر تعقيدا هو دراسة المشكلة الاجتماعية الناجمة عن ظاهرة اجتماعية لوجود العنصر الذاتي في المشكلة الاجتماعية ، والذي يتغير حسب الاشخاص والظروف الزمانية والمكانية . بالاضافة الى انه لم يتم حتى الان الاتفاق على تشخيص المشكلة الاجتماعية ،

Digitized by Birzeit University Library

وهناك عدة اتجاهات كما سبق واشرنا.

واذا علمنا ان موضوع الدراسة هو ظواهر متعلقة بنظام اجتماعي كنظام وقت الفراغ نجد بالاضافة الى صعوبة تحديد ابعاد عنصري الحرية والوقت . لانه يتم في كثير من الدول فرض ايديولوجيات معينة خلال اجازات المواطنين وفي اوقات استمتاعهم . كما ان الضروريات التي يجب اشباعها هي نسبية في كثير من الاحيان . وفي هذه الدراسة الاستطلاعية لن نحاول التعمق في سبر اغوار العناصر المبينة اعلاه ، وذلك لان نظام وقت الفراغ واثره على المجتمع لم يأخذ الدور والاهمية اللازمة لانشغال معظم الناس في تلبية الحاجات الاساسية ولان هناك انظمة اجتماعية اخرى مثل نظام الاسر ونظام التربية .. الخ تعتبر من الانظمة التي لها الاولوية في الدراسة والاهتمام .

ا ولكن،وبسبب ما سبق وان ذكرناه حول الانتشار الواسع لظاهرة التعليم في الضفة الغربية وقطاع غزة،يحفز ويوجب على دراسة جميع الجوانب المتصلة بظاهرة التعليم،ووقت الفراغ لا بد ان يكون من هذه الظواهر التي يتوجب دراستها لمعرفة طبيعة تأثيرها على الطلبة ومن ثم على المجتمع.

طريقة البحث

أ. "الهدف من الدراسة : تهدف هذه الدراسة الى معرفة ما اذا كان لدى طلبة الجامعة وقت فراغ ام لا ، وهل هناك مشكلة اجتماعية نتيجة لعدم استغلال وقت الفراغ كنظام اجتماعي يقوم بالوظائف المتوخاه منه .

ب. الدراسات السابقة : يمكن ان نشير الى دراستين اهتمت كلتاهما بوقت الفراغ وتأثيره على الطلبة . وتمت الدراستان بمدينة الاسكندرية - وبالرغم من الاختلاف الواضح بين مدينة الاسكندرية ومدينة نابلس من حيث عدد السكان وموقعها على البحر الابيض المتوسط مما يؤدي الى اتصالها باوروبا اي بثقافة غربية ، كذلك كثرة الاماكن التي يقضي الانسان بها وقت فراغه اذا ما قورنت بمدينة نابلس . الا ان هناك اوجه شبه كبيرة ايضا ان المدينتين تقعان في دول العالم الثالث والخلفية الحضارية لكل منهما عربية اسلامية .

الدراسة الاولى اشار اليها د.محمد بدوي سنة ١٩٨١ والتي اجريت سنة ١٩٥٣. اظهرت هذه الدراسة ان لدى طلبة الجامعة ٣٤ ساعة فراغ اسبوعيا ولدى الطالبات٤٩ ساعة فراغ اسبوعيا. يقضون منها ٢٤ ساعة اسبوعيا بنشاط ارتجالي لا ضابط له ولا تنظيم و ٦ ساعات بشكل منظم ، ويخلص التقرير الى ان ١٤٠ الف طالب وطالبة يضيع معظم وقتهم دون جدوى.

اما الدراسة الثانية والتي اشار اليها د.محمد علي سنة ١٩٨١ وتمت سنة ١٩٨٠ فقد اوضحت ان : الطلبة الذين لديهم وقت فراغ دائم ١٦٪ واحيانا ٧٠٪، ومن ليس لديهم وقت فراغ ابدا ١٤٪.

والنتيجة النهائية التي توصل اليها البحث : كانت ان وقت الفراغ يتم قضاؤه في نماذج يغلب عليها طابع المشاهدة والمتابعة ، ويكمن وجه الخطورة هنا كما اشار الباحث في ان الشباب يقع تحت تأثير القوى الخارجية ، بوصفها المثير الاساسي لعواطفنا ومشاعرنا المختلفة مما يساعد على تنمية الاتجاهات السلبية ، والنتيجة الثانية التي توصل اليها د.محمد علي محمد هي ان الشباب لا يدرك قيمة وقت الفراغ في تحديد الاستعدادات النفسية والجسمية والعقلية ودفعها لمزيد من الانجاز والقدرة على الابداع.

ج. "اختيار العينة : هذه الدراسة الاستطلاعية ستكتفي بدراسة عينة من طلبة جامعة النجاح

Digitized by Birzeit University Library

الوطنية بهدف ان تكون هذه الدراسة نقطة انطلاق لدراسات اكثر عمقا وشمولا.

د. اما سبب اختيار العينة من طلبة جامعة النجاح الوطنية فيعود اولا الى ان طلبة جامعة النجاح يمثلون مختلف المستويات الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة .

وثانيا : ان عدد طلاب الجامعة من اكبر الاعداد الموجودة في جامعات الضفة الغربية . ولان نابلس كمدينة تعتبر مركزا لثلاث مناطق رئيسية من اصل ست مناطق في الضفة وتأتي بعد مدينة القدس من حيث عدد السكان والتقدم الحضاري والتجاري.

ه . طريقة جمع العينة : استخدم اسلوب العينة في الدراسة وكانت العينة طبقية عشوائية حيث تم اختيار ٥٪ من طلبة الجامعة بشكل عام . تم توزيعهم على مختلف الكليات البالغ عددها خمسة ومن مختلف المستويات . حيث تم اختيار ٥٪ من كل كلية و ٥٪ من كل مستوى حسب السنة الدراسية . هذا مع العلم انه تم دمج كلية الهندسة مع كلية العلوم وذلك لقلة عدد الطلاب في كلية الهندسة.

وتم استثناء طلبة سنة اولى لسببين :

الاول لانهم لم يتمكنوا بعد من التعرف على الحياة الجامعية وعلى تكوين علاقات اجتماعية ، وثانيا لم يتم بعد ادراج اسمائهم في جداول التسجيل في الجامعة . وبذلك نستطيع ان نجري مقارنة بين طلبة الكليات لمعرفة مفهوم وتأثير وقت الفراغ على حياتهم.

والاستمارة كانت عبارة عن قسمين :

القسم الاول : منها كان يهدف الى معرفة مفهوم وقت الفراغ عند الطلبة وحجمه وكيف يتم قضاء وقت الفراغ وشعور الطلبة نحو الطريقة التي يملؤون بها وقت فراغهم وتأثير ذلك على قدرتهم وخبراتهم ..الخ.

القسم الثاني : من الاستمارة كان هدفه معرفة تأثير الفراغ على علاقة الطلبة ببعضهم البعض وعلاقتهم بجامعتهم ومدينتهم.

الفراغ واثره على حياة الطلبة

١. كيف يدرك الطلبة وقت الفراغ:

أ. مفهوم وقت الفراغ عند الطلبة:

لوحظ انه لم يكن اجماع على مفهوم واحد لوقت الفراغ . فكانت ٢٨٪ من الاجابات تشير الى وقت الفراغ هو الذي يكون بعد القيام بالواجبات الاساسية لحياة الانسان و ٢٦٪ من الاجابات اشارت هو الوقت المتبقي بعد القيام بالواجبات الاساسية والنشاطات اللامنهجية . و ٤٦٪ اعتبرته الوقت الذي يجد الطالب نفسه بدون عمل ولا نشاط (انظر الجدول ١). ويمكن استنتاج ان الطلبة ينظرون الى الوقت نظره دونيه حيث ٤٦٪ يعتبرونه الوقت الذي لا يجد الطالب نفسه مشغولا باي شيء. وهذا ما توصل اليه د.محمد علي محمد سنة ١٩٨١ بان ٤٣٪ من اجابات الطلبة تعتبر وقت الفراغ هو الوقت الذي لا يشغله الطالب بشيء مفيد.

النسبة المئوية لمفهوم وقت الفراغ عند الطلبة
جدول رقم (١)

المتبقي بعد القيام بالواجبات والنشاطات اللامنهجية	المتبقي بعد القيام بالواجبات والنشاطات اللامنهجية	الذي يجد به الطالب نفسه بدون عمل ولا نشاط
٢٨٪	٢٦٪	٤٦٪

Digitized by Birzeit University Library

كما اظهر البحث انه لم تكن هناك فروق تذكر بين مفهوم وقت الفراغ عند الطلبة في مختلف اقسام الجامعة (انظر الجدول رقم (٢)).

جدول رقم (٢)

النسبة المئوية لمفهوم وقت الفراغ عند الطلبة في مختلف كليات الجامعة

المتبقي بعد القيام بالواجبات الاساسية	المتبقي بعد القيام بالواجبات الاساسية والنشاطات اللامنهجية	الذي يجد به الطالب نفسه بدون عمل ولا نشاط
٠١ كلية التربية ٢٨٪	٢٠٪	٥٢٪
٠٢ كلية العلوم والهندسة ٢٤٪	٢٣٪	٤٣٪
٠٢ كلية الاداب ٢٨٪	٢٧٪	٤٥٪

وتشابه مفهوم وقت الفراغ عند مختلف الطلبة يعود الى ان الثقافة العامة هي الغالبة ولم يظهر اثر للتخصصات حيث كان من المتوقع ان يكون مفهوم وقت الفراغ عند طلبة كلية التربية يختلف عنه عند بقية طلبة الجامعة.

ب. "هل لدى الطلبة وقت فراغ : تبين من البحث ان ٨٤٪ من طلبة الجامعة بشكل عام يتوفر لديهم وقت الفراغ ، وان ٤٢٪ من هذه النسبة عندهم ما يزيد على ثلاث ساعات فراغ يوميا، و ٢٨٪ لديهم ٢ - ٣ ساعات و ٢٧٪ بين ١ - ٢ ساعة يوميا و ١٪ فقط لديهم اقل من ساعة فراغ يوميا (انظر جدول (٣)).

جدول رقم (٣)

مستوى توفر وقت الفراغ لدى الطلبة في كليات الجامعة المختلفة

	متوفر	غير متوفر	الوقت اقل من س	الوقت بين ١-٢س	الوقت بين ٢-٣س	الوقت ٣س فاكثر	الدراسة	العمل
كلية الاقتصاد	٧٨٪	٢٢٪	١٪	١٤٪	٧١٪	١٤٪	٦٧٪	٣٣٪
كلية التربية	٨٨٪	١٢٪	—	٢١٪	٢٤٪	٦٦٪	٢٥٪	٧٥٪
كلية الاداب	٨٤٪	١٦٪	١٪	٣٠٪	٢٥٪	٤٤٪	٣١٪	١٩٪
كلية العلوم والهندسة	٨٥٪	١٥٪	—	١٨٪	١٨٪	٦٤٪	٣٣٪	١٦٪
طلبة الجامعة بشكل عام	٨٤٪	١٦٪	١٪	٢٧٪	٢٨٪	٤٤٪	٤٥٪	٥٥٪

واذا نظرنا الى العينة من طلبة الجامعة الذين ليس لديهم وقت فراغ وهم بنسبة ١٦٪ نجد ان ٥٥٪ منهم يرجعون السبب الى العمل والباقي وهم ٤٥٪ يرجعونه الى الدراسة . كما لوحظ في الجدول ، ان طلبة كلية التربية لديهم وقت فراغ اكثر من غيرهم من الطلاب ، حيث ان الذين لديهم ما يزيد على ثلاث ساعات يوميا كانت نسبتهم ٦٦٪ ويليهم في ذلك طلبة كلية العلوم والهندسة ٦٤٪ . و ٤٤٪ من طلبة كلية الاداب لديهم ما يزيد على ثلاث ساعات يوميا ،

Digitized by Birzeit University Library

بينما ١٤٪ فقط من طلبة كلية الاقتصاد لديهم ما يزيد على ٣ ساعات فراغ يوميا. والذين ليس لديهم وقت فراغ كان السبب انهم يعملون في وقت فراغهم ونسبتهم ٧٥٪ في طلبة كلية التربية و ٦٩٪ من كلية الاداب.

واذا قارنا النتائج بما توصل اليه د.السيد بدوي سنة ١٩٨١ والتي كانت بمعدل ٤٢ ساعة اسبوعيا (٣٤ ساعة لدى الطلبة ٤٩ ساعة لدى الطالبات" . وكما اظهرت نتائج دراسة د.محمد علي محمد سنة ١٩٨١ ايضا . ان ٧٠٪ من الطلبة عندهم وقت فراغ احيانا و ١٦٪ لديهم وقت فراغ دائما و ١٤٪ لا يوجد لديهم وقت فراغ.

مما سبق يتضح ان وقت الفراغ متوفر ومدته كبيرة لدى الطلبة سواء في جامعة الاسكندرية او في جامعة النجاح الوطنية.

ج. كيف يقضي الطلبة وقت فراغهم :

اظهرت الدراسة ان ٧٢٪ من الطلبة افادوا انه لا يوجد اماكن ملائمة لتمضية وقت الفراغ و ١٣٪ قالوا بانهم لا يعرفون اذا كان هناك اماكن و ١٤٪ اجاب بنعم اي يوجد اماكن ، كما اتضح ان ٦٢٪ من الطلبة لم يكتسب هوايات جديدة وان ١٤٪ قالوا انهم اكتسبوا هوايات جديدة ، والبقية اي ٢٤٪ لا يعرف فيما اذا اكتسب هواية جديدة ام لا.

جدول رقم (٤)

توافر اماكن لتمضية وقت الفراغ واكتساب هوايات جديدة			
	لا يوجد	لا اعرف	نعم يوجد
توافر اماكن لتمضية وقت الفراغ	٧٣٪	١٣٪	١٤٪
اكتساب هوايات جديده	٦٢٪	٢٤٪	١٤٪

كما اتضح من نتائج البحث ان ٥٩٪ من طلبة الجامعة الذين اجريت عليهم الدراسة لديهم ما يشغل وقت فراغهم و ٢٤٪ يجدون ما يملؤون به وقت فراغهم احيانا و ١٧٪ لا يجدون ما يشغلون به وقت فراغهم.

واما الشعور بالرضى عن الطريقة التي يقضون بها وقت الفراغ فكانت ٤٥٪ منهم راضين و ٣٢٪ شعورهم بالرضى احيانا ، ٢٣٪ لا يشعرون بالرضى ابدا (انظر جدول رقم ٥).

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم (٥)

	شغل وقت الفراغ والشعور نحو الطريقة في ذلك				
	يجد ما يشغل به وقت الفراغ			الشعور نحو الطريقة التي تشغل وقت الفراغ	
	نعم	احيانا	لا	الرضى	احيانا	عدم الرضى
طلبة كلية الاقتصاد	١٠٠٪	—	—	٥٧٪	—	٤٣٪
طلبة كلية التربية	٦٢٪	٢٨٪	١٠٪	٤٨٪	٣٨٪	١٤٪
طلبة كلية الآداب	٥٥٪	٢٩٪	١٦٪	٤٧٪	٣٦٪	١٧٪
طلبة كلية العلوم والهندسة	٥٠٪	١٠٪	٤٠٪	٢٧٪	٢٧٪	٤٦٪
طلبة الجامعة عامة	٥٩٪	٢٤٪	١٧٪	٤٥٪	٣٢٪	٢٣٪

واذا قارنا بين مختلف الطلبة في مختلف الكليات لوجدنا (كما يظهر الجدول السابق) ان ٤٠٪ من طلبة كلية العلوم والهندسة لا يجدون ما يشغلون به وقت فراغهم و ١٦٪ من كلية الاداب و ١٠٪ من طلبة كلية التربية ، وهذه النتيجة يمكن تفسيرها اذا عرفنا الطريقة التي يقضي بها الطلبة وقت فراغهم وهي التنزه وفي الكفتيريا ، اي بطرق غير موجهة .

كما يلاحظ ان ٤٦٪ من طلبة كلية العلوم والهندسة ايضا لا يشعرون بالرضا نحو الطريقة التي يملؤون بها وقت فراغهم ، وهذا يتناسب مع النتيجة التي ظهرت في كلية العلوم والهندسة (٤٠٪ منهم لا يجدون ما يقضون به وقت فراغهم) . هذا مع العلم ان ١٧٪ من طلبة كلية الاداب لا يشعرون بالرضى و ١٤٪ من طلبة كلية التربية.

والذي يزيد الامر سوءا ان ٢٤٪ فقط من طلبة الجامعة بشكل عام يمارسون نشاطات موجهة اثناء فراغهم ، مثل رياضة ٦٪ موسيقى ٥ر٢٪ نشاطات فنية ١٪ عمل تطوعي ١٪ رسم ١٪ اعمال ثقافية ٢٪ ، يتجولون في اماكن عامة ٤٪،اما ٧٦٪ فيقضون وقت فراغهم في نشاطات غير موجهة مثل مشاهدة تلفزيون ٢٥٪ مع الاصدقاء ٢٧٪.

ومما يزيد الصورة قتامة النتائج التي اظهرت رغبة الطلبة بالنشاطات التي يودون ملء فراغهم بها وهي:

ركوب دراجات نارية ، سباحة ، تعلم موسيقى ، تعلم رسم ، جمباز ، وبعضهم طالب يتعلم تنس الطاولة وبرحلات وغناء ، وكلها حاجات متواضعة اساسية يجب ان تكون متوفرة اصلا لكل طالب.

واذا رجعنا الى ما ذكره السيد بدوي سنة ١٩٨١ لوجدنا ان نتائج البحث على طلبة جامعة الاسكندرية مشابهة للنتائج التي توصلنا اليها في بحثنا هذا ، حيث كما سبق وذكرنا ان الطلبة في جامعة الاسكندرية يضيع معظم وقتهم بدون فائدة ، وايضا ما توصل اليه د.محمد علي

Digitized by Birzeit University Library

محمد بان الطلبة يغلب على اسلوبهم في تمضية الوقت طابع المشاهدة والمتابعة ، مما ينمي السلبية لديهم ويوقعهم تحت التأثيرات الخارجية بوصفها الموجه الاساسي لعواطفهم.

وبالتالي فان النتيجة التي يمكن ان نتوصل اليها هي ان الطلبة يعانون من عدم ايجاد برامج موجهة لملء وقت فراغهم تساعدهم على تنمية مواهبهم وقدراتهم.

٢. اثر وقت الفراغ على اتجاهات وعلاقات الطلبة الاجتماعية :

مما سبق يتضح ان لدى الطلاب وقت فراغ يقضون معظمه بنشاطات غير موجهة وبالتالي هل ستنعكس على سلوكهم بالتبعية والسلبية؟ هل يمكن ايجاد علاقة بين طريقة ملء وقت الفراغ والشعور الذي ينتج عن ملئه وبين تفاعل الطلبة فيما بينهم وتفاعلهم مع الجامعة والبيئة التي يعيشون فيها ؟؟ بالتأكيد لا نستطيع ان نجزم ان كيفية ملء وقت الفراغ والشعور الناتج عنه هو العامل الوحيد الذي يؤثر على علاقات الطلبة الاجتماعية . لان نظام وقت الفراغ الاجتماعي ما هو الا جزء من نسق وهذا النسق جزء في النسق الاجتماعي وبالتالي فان العلاقات في المجتمع مرتبطة فيما بينها ومتأثرة ببعضها البعض من خلال النسق الكلي للعلاقات . لذا علينا اولا ان نحاول معرفة اثر كيفية قضاء وقت الفراغ على علاقات الطلاب وفي الفقرة التالية سنحاول التعرف فيما اذا كان لهذه العلاقات سلبيات يمكن ان نطلق عليها اسم مشكلة اجتماعية.

جدول رقم (٦)

علاقات الطلبة الاجتماعية بمحيطهم وشعورهم نحو تلك العلاقات حسب الكليات المختلفة

الطلبة حسب الكليات	شعور الطلبه نحو الجامعه			شعور الطلبه نحو بعضهم بعضا			شعور الطلبه نحو نابلس		
	راض	احيانا	غير راض	راض	احيانا	غير راض	راض	احيانا	غير راض
كلية الاقتصاد	٣٢٪	٥٦٪	٢٢٪	٢٢٪	٦٧٪	١١٪	٥٦٪	١١٪	٣٣٪
كلية التربية	١٣٪	٧٢٪	١٦٪	١٦٪	٧٢٪	١٦٪	٤٢٪	٤٢٪	١٦٪
كلية الاداب	٧٪	٧٨٪	١٤٪	١٤٪	٧١٪	١٤٪	٣٧٪	٤٦٪	١٧٪
كلية العلوم والهندسه	—	٩٢٪	٨ ٪	١٥٪	٨٥٪	—	٨٪	٥٤٪	٣٨٪
كلية الجامعة عامه	٨٪	٧٩٪	١٣٪	١٥٪	٧٢٪	١٣٪	٣٥٪	٤٤٪	٢١٪

أ. يلاحظ من الجدول اعلاه وفي اعمدة القسم الاول ان الشعور بعدم الرضا نحو الجامعة والمتمثل في ١٣٪ بشكل عام نجد ٨٪ في كلية العلوم والهندسة و ١٤٪ كلية الاداب و ١٦٪ كلية التربية ٢٢٪ كلية الاقتصاد حيث يفوق الشعور بالرضى نحو الجامعة . وان الشعور الغالب بين الطلبة تجاه الجامعة هو ليس الرضى وليس عدم الرضى. وتبين ذلك خلال الاجابات حيث كانت نسبة هذا الشعور ٧٩٪ لدى طلبة الجامعة بشكل عام ٩٢٪ لدى طلبة كلية العلوم والهندسة ٧٩٪ لدى طلبة كلية الاداب ٧٢٪ لدى طلبة كلية التربية و ٥٦٪ لدى طلبة كلية

Digitized by Birzeit University Library

الاقتصاد ، وهذا يدل على فتور وعدم ايجابية الطلبة نحو الجامعة التي يقضون بها معظم وقتهم وفترة من اهم فترات حياتهم وهي فترة الشباب .

ب. واذا نظرنا في الجدول السابق الى اعمدة القسم الثاني لوجدنا ان شعور الطلبة نحو بعضهم هي عدم الرضى ايضا ، فالصفة الغالبة على شعور الطلبة هي الفتور وعدم الايجابية والتي تمثلت في الاجابات باحيانا ٧١٪ في كلية الاداب و ٨٥٪ في طلبة كلية العلوم والهندسة و ٧٢٪ في طلبة كلية التربية و ٦٧٪ في طلبة كلية الاقتصاد و ٧٢٪ في طلبة الجامعة بشكل عام .كما يلاحظ ان هناك شبه تساوي بين شعور الرضى بين الطلبة (نحو بعضهم البعض).

ج. اما بالنسبة لما يظهر في اعمدة القسم الثالث فيتضح ان شعور الطلبة الايجابي بالرضى نحو مدينة نابلس هو اكثر من شعورهم السلبي "بعدم الرضى" نحوها . ويمكن تفسير ذلك ان معظم طلاب الجامعة من الريف ومهما كان الوضع في المدينة فهو يمكن ان يكون محببا اليهم اكثر من حياة الريف . ويستثنى من هذا الشعور الايجابي طلبة كلية العلوم والهندسة . ويمكن ان يكون لذلك تفسير واحد هو (كما ظهر في الجدولين الثالث والرابع) ان طلبة هذا القسم لديهم وقت فراغ كبير حيث ان ٦٤٪ منهم ليسو راضين عن طريقة ملء وقت الفراغ . وهذه النسبة تعادل ضعفين الى ثلاثة اضعاف النسبة الموجودة عند بقية طلبة الجامعة.

واذا حاولنا ايجاد علاقة بين طريقة قضاء وقت الفراغ والشعور الناتج عن ذلك عند الطلبة وبين شعور الطلبة نحو بعضهم البعض ونحو البيئة التي يعيشون فيها لا يمكن (بعد الرجوع الى الجدولين الخامس والسادس) الاستنتاج وجود هذه العلاقة وهذا يعود:

اولا: الى انه بالرغم من ان ٥٩٪ من طلبة الجامعة لديهم ما يشغل وقت فراغهم و ٢٤٪ احيانا لديهم ما يشغل وقت فراغهم الا انه وكما تبين لنا ان ٧٦٪ من هؤلاء يقوم بنشاطات غير منهجية وبالتالي يمكن ان يكون لها اثار سلبية كما سبق واوضحنا . هذا بالاضافة الى انه اتضح ان ١٧٪ لا يجدون ما يشغلون به وقت فراغهم . واذا نظرنا الى الجانب الثاني من الجدول الخامس لاتضح لنا ايضا ان الشعور بعدم الرضى عن الطريقة التي يملأ بها وقت الفراغ والبالغة ٢٣٪ بشكل عام ليست قليلة . بالاضافة انه يوجد ٣٢٪ يشعرون بعدم الرضى احيانا . واذا اخذنا بعين الاعتبار ان ٧٦٪ يقومون بنشاطات غير موجهة فلا بد ايضا ان يستنتج ان مثل تلك النشاطات لن تساهم في التنمية الاجتماعية والنفسية والعقلية المرجوه.

وثانيا : اذا نظرنا الى النتائج المبينة اعلاه في الفقرات أ،ب،ج ، والتي جميعها تدل على ان العلاقة والتفاعل بين الطلبة والبيئة التي هم فيها يغلب عليها السلبية لامكننا ان نصل الى نتيجة ان هناك علاقة بينها وبين طريقة قضاء وقت الفراغ وتأثيرها على الطلبة.

٣. المشكلة الاجتماعية ووقت الفراغ عند الطلبة:

من خلال وصف سلوك الطلبة في اوقات فراغهم ومن خلال المقارنة بين مختلف انماط سلوك الطلبة في مختلف الكليات . ومن محاولة ايجاد علاقة ايضا بين ذلك السلوك الطلابي في جامعة الاسكندرية في اوقات الفراغ يتضح لنا من هذه الدراسة الاستطلاعية انه يمكننا التعرف الى حد ما على السلوك الطلابي الذي تأثر بالنشاطات الطلابية خلال وقت الفراغ. وكان واضحا ان هذا السلوك الناتج عن نظام وقت الفراغ لم يحقق الاهداف الفسيولوجية والسيكولوجية او الثقافية

Digitized by Birzeit University Library

المترقعة من هذا النظام. كل ذلك بين لنا ان هناك مشكلة اجتماعية تواجه الطلبة في جامعة النجاح الوطنية ، وان لكيفية قضاء وقت الفراغ دور في تكوين تلك المشكلة ، وذلك يعود الى ان هناك ظروف اجتماعية سواء كانت تلك المتمثلة في عدم وجود نشاطات موجهة او عدم وجود مرايات ، كل ذلك حال دون ان يستطيع الطلبة تحقيق تنمية وتطور عقلي ونفسي واجتماعي يمكنهم من المساهمة في تطوير وتدعيم العلاقات والتفاعلات الاجتماعية الايجابية.

ونحن نجد ان هذه المشكلة الاجتماعية الناتجة عن وقت الفراغ مستترة ، لان الظروف الاجتماعية التي تعارض قيم المجتمع مستترة . وذلك لا يستطيع احد ان يعيب على اخر اذا لم يستغل وقت فراغه بنشاطات موجهة ، لان هذا الشخص لا يعتبر انه يناقض قيم المجتمع الظاهرة ، وبالواقع عدم الاستفادة جسميا او نفسيا الخ من نشاطات وقت الفراغ ما هو الا فعل مناف لقيم المجتمع المستترة والتي تحتم على كل فرد ان يساهم في تماسك المجتمع ومنفعته . وعدم ظهور مثل هذه القيم على السطح يمكن ان يعود اما الى ان دول العالم الثالث والتي فيها طلبة جامعة النجاح الوطنية لا زال همهم منحصرا في الحصول على حاجاتهم الاساسية ، او لعدم وجود توعية وتثقيف كافيين يعلمان الناس مهمة النشاط في وقت الفراغ ودور نظام الفراغ الاجتماعي او كلا العاملين السابقين معا. وهذا يشير ايضا الى ان مشكلة وقت الفراغ اجتماعية ممتدة ومرتبطة في البناء الاجتماعي للمجتمع (٨) .

كما اننا نلاحظ (من خلال عدم وجود من يتذمر او يشكو) انه لا يوجد ادراك اجتماعي لمشكلة الفراغ واثرها بشكل خاص على الطلبة . ولكن هذا البحث وغيره من البحوث اثبت ان هناك مشكلة اجتماعية تؤثر على العلاقات والتفاعلات الانسانية بشكل سلبي ، ولا بد ان يكون لها بالتالي اثرا سلبيا على البناء الاجتماعي . والان نجد امامنا سؤالين :

١. هل يمكن ان نجد حلا للمشاكل الاجتماعية الناتجة عن عدم قيام نظام وقت الفراغ الاجتماعي ؟

٢. ولو افترضنا ان هناك حلا لمشكلة وقت الفراغ هل هذا وحده سيساهم في تنمية وتطور المجتمع ؟

للاجابة على السؤال الاول يمكننا القول ان قيام النظام الاجتماعي لوقت الفراغ بمهماته يحتاج الى جانب مادي وجانب ثقافي. اما بخصوص توفير الجانب المادي فبالنظر الى عدد الطلبة في الجامعة البالغ حوالي اربعة الاف شخص ومدى تأثيرهم على الحياة العامة وخاصة التجارية في نابلس يمكننا ان نطلب من مختلف القطاعات التجارية المستفيدة من القطاع الطلابي المساهمة المادية اللازم توفرها وبشكل مخطط له وعلى مدى من الزمن يحدد بحسب الامكانيات الممكن توفيرها.

هذا بالاضافة لوجود مؤسسات اخرى يمكنها ان تساهم وتنظم الجهود اللازمة لجمع الامكانيات المادية.

اما بخصوص الجانب الثقافي والذي يمكن ان يرسم الخطوط العريضة والدقيقة وراء اي نشاط ليحقق الغايات المرجوة من النشاطات ، فهناك قسم العلوم الاجتماعية وكلية التربية وعمادة شؤون الطلبة وهناك قسم الفنون الجميلة بالاضافة الى مجلس اتحاد الطلبة والمرشدة الاجتماعية لشؤون الطلبة ومجلس التعليم العالي كل هذه المؤسسات يمكنها بالتعاون معا ، ومع بقية المؤسسات الاجتماعية مثل الجمعيات الخيرية والاندية الموجودة في المدينة ان تعد الخطط اللازمة لمثل هذه النشاطات.

Digitized by Birzeit University Library

وبخصوص الجواب على السؤال الثاني علينا الاخذ بعين الاعتبار ان نسق العلاقات الاجتماعية الناتج عن نشاطات وقت الفراغ ، ما هو الا جزء من النسق الكلي للعلاقات الاجتماعية ، التي تنتج عن مختلف الانظمة الاجتماعية المكونة للمجتمع ولكي نصل الى النتائج المرجوه والسريعة ، علينا ان نهتم ببقية العلاقات الاجتماعية الناتجة عن مختلف انساق المجتمع . ولكن مما لا شك فيه ان في حالة محاولة تحسين تفاعلات العلاقات الناتجة عن نظام اجتماعي مثل نظام وقت الفراغ والمتمثلة في انضاع نفسي واجتماعي وثقافي وعقلي لا بد ان يكون لها اثر ايجابي على بقية التفاعلات الناتجة عن بقية الانظمة لترابط جميع انظمة المجتمع ، وتأثير بعضها على بعض. فتحسين نفسية طالب وتنمية علاقاته الاجتماعية - مهما كانت نسبة ذلك - لا بد ان يؤثر ايجابيا على تحصيل الطالب الاكاديمي وبالتالي على انتاجية الاقتصاد وتطور المجتمع بوجه عام.

المراجع:

١. السيد محمد بدوي ،"مباديء علم الاجتماع" دار المعارف مصر عام ١٩٨١.

٢. د.عطيات خطاب ، "اوقات الفراغ والترويح" دار المعارف مصر ،١٩٧٦.

٣. د.محمد علي محمد "وقت الفراغ في المجتمع الحديث" دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ،١٩٨١.

4. Carbin H.,"Education for Leisure"

5. Merton.R.1971 "Contemperary Social Problems" Hercourt Brace

6. Ret.J.1970 Key Problems of Sociological "Routledge 2 Kegan Paul,London

7. Shepard. J 1978 "Social Problem" Collien Machmillan London

8. Sullivon T. 1980 "Social Problems" J 9hn wileg & Sons New York

الهوامش:

١) مرجع رقم ٧ ،ص١.

٢) مرجع رقم ٥ ، ص٧٩٩ - ٨١٨.

٣) مرجع رقم ٢.

٤) مرجع رقم ٣،ص١٤٣.

٥) مرجع رقم ٣ ، ص ١٥٤

٦) مرجع رقم ٣ ، ص١٥٤

٧) مرجع رقم ٤.

٨) مرجع رقم ٥.

Digitized by Birzeit University Library

بمناسبة الذكرى الاربعين لصدور قرار التقسيم

الفلسطينيون .. ماض وحاضر

هانس ليبرخت
مراجعة / حنا عميرة

صدر هذا الكتاب باللغة الالمانية في عام ١٩٨٢، وقد ترجم لعدة لغات منها اللغة العبرية في عام ١٩٨٦ . مؤلف الكتاب هو الصحفي الشيوعي هانس ليبريخت، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسرائيلي ، يتناول الكتاب تاريخ نضال الشعب الفلسطيني والمؤامرات التي تعرض لها منذ سنوات العشرينات وحتى الان.

كرس هانس ليبريخت اجزاء هامة في كتابه للحديث عن مؤامرة اقتلاع الشعب الفلسطيني من وطنه. وسجل احداث تلك الفترة كشاهد عيان ، كما اعتمد على ما تم الكشف عنه من وثائق ارشيف منظمة "الهاجناة" والارشيف الاسرائيلي الرسمي . نعيد فيما يلي ترجمة اهم ما ورد في الكتاب عن تلك الفترة ، وذلك بمناسبة مرور الذكرى الاربعين لصدور قرار التقسيم.

Digitized by Birzeit University Library

في ٢٩ تشرين ثاني اتخذت الهيئة العامة للامم المتحدة قرارها رقم ١٨١ بتقسيم فلسطين. وحسب خطة التقسيم خصص للدولة اليهودية ١٤،٨٦٢ كيلومترا مربعا (٥٦،٤٧٪ من مساحة فلسطين) وكان مقررا ان يعيش فيها ٩٩٥ الف نسمة من بينهم حوالي ٤٩٨ الف يهودي و ٤٩٧ الف عربي (اي ان حوالي ٥٠٪ من مواطني الدولة اليهودية من العرب) اماالدولة العربية فخصص لها مساحة ١١،٢٨٦ كيلومترا مربعا (٤٢،٨٨٪ من مساحة فلسطين) وكان مقررا ان يعيش فيها ٧٢٥ الف نسمة من بينهم ١٠ الاف يهودي (١) ، ونص قرار التقسيم على تدويل القدس التي بلغ عدد سكانها ١٠٠ الف يهودي و١٠٥ الاف عربي.

وتجدر الاشارة الى انه على الرغم مما اشيع عن عمليات شراء الاراضي من قبل اليهود، فان نسبة هذه الاراضي ، حسب الارقام الرسمية ، لم تتجاوز ٦،٩٪ فقط من مساحة فلسطين اي ان ٩٣،١٪ من اراضي العرب تم الاستيلاء عليها بالقوة.

عارضت الدول العربية والهيئة العربية العليا

قرار التقسيم ، بينما تحدثت الصحف الصهيونية في ذلك الوقت بان قيادة الحركة الصهيونية وافقت على قرار الامم المتحدة لانها رأت فيه منطلقا لتنفيذ مخططاتها على فلسطين باكملها في المستقبل . وجاء قرار اللجنة التنفيذية للحركة الصهيونية منذ اب ١٩٤٦ ان هناك امكانية لقيام دولة يهودية على الجزء الغربي من ارض اسرائيل ، كهدف مرحلي مؤقت لاقامة الدولة اليهودية على جميع ارض اسرائيل بما فيها الجزء الشرقي (اي الضفة الشرقية من نهر الاردن).

ويقتبس مؤلف الكتاب اقوالا لاميل حبيبي لشرح اسباب موافقة عصبة التحرر الوطني على قرار التقسيم . يقول اميل حبيبي " ادركت العصبة ان البديل الواقعي عن قرار الامم المتحدة ، في ظل الاوضاع المزرية التي اوصلت اليها القضية على يد الامبريالية والصهيونية والقيادات الموالية للاستعمار في العالم العربي، هو كارثة مهولة تحل بالشعب العربي الفلسطيني "خصوصا وان هذا الشعب كان يجابه أنذاك مؤامرة منظمة على مختلف الخيوط ، امبريالية وصهيونية ورجعية عربية لاقتلاعه من وطنه ولحرمانه من حقه في تقرير المصير واقامة دولته المستقلة على ارضه".

ولكن كيف تمت مخططات اقتلاع الفلسطينيين من ارضهم وكيف امكن تنفيذ هذه المؤامرة المهولة ضد هذا الشعب ؟

في عام ١٩٧٩ وبعد مرور ٣٠ سنة ، جرى الكشف لاول مرة ، عن وثائق قيادة الحركة الصهيونية لعام ١٩٤٨ . في تلك الفترة ، وبالتحديد في ١٢ ايار ١٩٤٨ قدمت غولدا مايرسون (اي غولدا مئير) تقريرا للقيادة الصهيونية جاء فيه " قبل صدور قرار التقسيم بعشرة ايام عقد اجتماع مع الملك عبد الله ، شارك فيه من جانبنا الياهو ساسون ، وموشيه ديان وانا، ودار الحديث بيننا على اساس من الاتفاق والتفاهم المشترك حول ما يريده كلا الطرفين ، بما يتلاءم مع مصالحنا المشتركة . من جانبنا قلنا له اننا لا نستطيع ان نضمن دخوله الى البلاد ، ولكن اذا اراد وضع العالم امام الامر الواقع فاننا بالتأكيد سنتوصل الى لغة مشتركة لتنظيم الامور فيما بيننا".

وهكذا، توصلت القيادة الصهيونية الى اتفاق مع الملك عبد الله على اقتسام المناطق التي كانت مقرره وفق خطة التقسيم للدولة العربية الفلسطينية.

وايضا جاء في الوثائق ، انه بتاريخ ١٢ نيسان ١٩٤٨ اوفد بن غوريون مبعوثا خاصا الى الملك

Digitized by Birzeit University Library

عبد الله هو موشيه شرتوك (موشيه شاريت فيما بعد ، وقد شغل منصب وزير خارجية اسرائيل ورئيس وزرائها) واتفق معه على ان الجانبين سيلتزمان في تطبيق خطة التقسيم ، على اساس من الصداقة والتعاون المشترك ، ولكن بدون ان يشمل ذلك اقامة دولة عربية فلسطينية".

وعندما انسحب الجيش البريطاني من فلسطين في ١٥ ايار ١٩٤٨ قام بتسليم جميع معسكراته ومراكز الشرطة في المناطق التي كانت معدة لقيام الدولة الفلسطينية ، الى الجيش الاردني بقيادة جلوب باشا . وهكذا ساهمت بريطانيا بقسطها في منع اقامة الدولة الفلسطينية.

وفي غضون ذلك واصلت القوات التابعة للقيادة الصهيونية تطهير المناطق المعدة لاقامة الدولة اليهودية من سكانها العرب.وهكذا في ٩ نيسان ١٩٤٨ (اي قبل ثلاثة ايام من اجتماع عبد الله - شيرتوك) نفذت مذبحة دير ياسين التي ذهب ضحيتها جميع سكان القرية البالغ ٢٥٤ نسمة . وفي نفس الوقت احتلت قوات "البلماخ" القسطل . وتم تنفيذ العمليتين في اطار خطة واحدة تستهدف تأمين فتح الطريق الى القدس . ونتج عن مذبحة دير ياسين زرع الرعب لدى المواطنين العرب لاجبارهم على الرحيل.

بعد هذه المذبحة بشهر واحد ، اي في ١١ ايار ١٩٤٨ وصلت غولدا مئير الى عمان للاجتماع مع عبد الله ، وفي ذلك الاجتماع تقرر ان لا يهاجم الجيش الاردني ، او الجيش العراقي تلك المناطق المعدة لاقامة الدولة اليهودية. كما تقرر ايضا اقتسام مناطق الدولة الفلسطينية بين القيادة الصهيونية والملك عبد الله وهذا ما تم بالفعل وفق حدود الهدنة ، التي وافق عليها الجانبان، فاستولى عبد الله على الضفة الغربية ، بينما استولت القيادة الصهيونية على المثلث واللد والرملة والناصرة وعكا وبئر السبع، واتفقا ايضا على اقتسام مدينة القدس .

ومما قالته غولدا مئير عن هذا الاجتماع ،" ان عبد الله غير معني بخوض حرب ضد اليهود ، لكنه مهتم في ان يرسل القوات العراقية التي تحت امرته للقتال حتى تتلقى ضربة ، الامر الذي سيعزز مركزه امام حكام العراق ويسهل تنفيذ مخطط الهلال الخصيب (الذي يدعو له).

وفيما كانت تعقد هذه اللقاءات والاتفاقات قامت القيادة الصهيونية بتنفيذ عملية طرد عرب فلسطين. ففي الاول من نيسان ١٩٤٨ اي قبل ستة اسابيع من خروج الجيش البريطاني من فلسطين وضعت قيادة "الهاجناة" الخطة "د" التي تقضي باحتلال ما يمكن من اراضي فلسطين وابقاء اقل ما يمكن من العرب فيها ، ودمرت بموجب هذه الخطة قرى عربية باكلمها.

وحسب الوثائق التي كشف عنها من ارشيف منظمة "الهاجناة" ، تضمنت الخطة "د" التفاصيل التالية :

١ - عملية "نحشون" - ١ نيسان - وتقضي بوصل تل ابيب مع القدس ، لفصل الدولة العربية المقترحة الى شقين ، نفذت بنجاح. (كان ضمن هذه الخطة احتلال اللد والرملة والقسطل ومذبحة دير ياسين).

٢ - عملية "هرال" - ١٥ نيسان - احتلال قرى اللطرون وباب الواد وطرد سكانها العرب - نفذت بنجاح.

٣ - عملية "مسباريم" - ٢١ نيسان - احتلال حيفا وطرد سكانها ، نفذت بنجاح.

٤ - عملية "حمتص" - ٢٧ نيسان - تدمير القرى العربية الواقعة حول مدينةيافا حتى يسهل حصارها - نفذت بنجاح.

٥ - عملية "يبوسي" - ٢٧ نيسان - احتلال جميع القرى العربية حول القدس تمهيدا

Digitized by Birzeit University Library

لاحتلالها كلها - نفذت جزئيا.

٦ - عملية "يفتاح" - ٢٨ نيسان - احتلال الجليل الشرقي (طبريا) وتطهيره من العرب - نفذت بنجاح.

٧ - عملية "مطاطا" - ٣ ايار - تدمير القرى العربية بين طبريا وصفد في الجليل الشرقي - نفذت بنجاح.

٨ - عملية "مكابي " - ٧ ايار - التقدم من القدس لاحتلال رام الله - لم تنفذ العملية بناء على الاتفاقات مع عبد الله.

٩ - عملية "جدعون" - ١١ ايار - احتلال بيسان وطرد سكانها - نفذت بنجاح.

١٠ - عملية "براك" - ١٢ ايار - تدمير القرى العربية شمال مدينة غزة وشرقها وطرد سكانها العرب - نفذت بشكل جزئي .

١١ - عملية "بن عامي " - ١٤ ايار - احتلال عكا والجليل الغربي وتطهيرها من العرب - نفذت بنجاح .

١٢ - عملية "كلشون" - ١٤ ايار - احتلال الاجزاء الغربية والجنوبية من القدس وتطهيرها من العرب - نفذت بنجاح.

١٣ - عملية "شفيفون" - ١٤ ايار - احتلال البلدة القديمة - لم تنفذ بناء على الاتفاق مع عبد الله .

وهذا يعني انه خلال الفترة الممتدة من مطلع نيسان وحتى اواسط ايار ، اي قبل خروج الجيش البريطاني ، احتلت القوات الصهيونية جميع المناطق المعدة لاقامة الدولة اليهودية ، بالاضافة الى اكثر من نصف المناطق المعدة للدولة العربية (وفق قرار التقسيم).

ومن بين ٣٨٤ مدينة وقرية عربية في فلسطين احتلتها القوات الصهيونية في عام ١٩٤٨ ، ضمن ما بات يعرف بحدود الخط الاخضر لم يبق سوى ١٠٤ قرى ومدينتين هما الناصرة وشفاعمرو .

جاء في الجزء المشطوب من مذكرات اسحق رابين (٢) ، الذي نشرته صحيفة "نيويورك تايمز" حول طرد ٥٠ الف عربي من اللد والرملة ما يلي " بينما كانت العمليات العسكرية في ذروتها، كان علينا ان نعالج مشكلة اخرى اكثر تعقيدا وتتمثل في وجود ٥٠ الف عربي من سكان اللد والرملة . اجتمعت مع القائد العام لقوات الهاجناة دافيد بن غوريون ، بحضور يغئال الون ، خلال الاجتماع لم يتفوه بن غوريون بكلمة واحدة حول مصير عرب اللد والرملة . وبعد انتهاء الاجتماع اعاد الون السؤال عليه ماذا نفعل بالسكان العرب ؟! وهنا اشار بن غوريون بيده الى الشرق ، اشارة تعني اطردوهم... اجريت مع الون بعد ذلك مشاورات واتفقنا على ضرورة طرد سكان المدينتين".

وهذا ما تم بالضبط بالنسبة لسكان المدن العربية الاخرى مثل حيفا ويافا وعكا وبيسان والمجدل وبئر السبع وغيرها (٣).

وعندما وقعت اتفاقيات الهدنة في عام ١٩٤٩ في رودس بين اسرائيل ومصر والاردن وسوريا ولبنان(٤) ، كانت اسرائيل تسيطر على ٢٠،٣٢٥ كيلومترا مربعا اي على ٧٧٪ من اراضي فلسطين وذلك بدل ١٤،٨٦٢ كيلومترا مربعا اي ٥٦،٤٧٪ من الاراضي التي خصصت لها بموجب قرار التقسيم . وهكذا اقتسم الملك عبد الله والقيادة الصهيونية اراضي الدولة الفلسطينية، وحصلت اسرائيل على مناطق الجليل الغربي وعكاوالناصرة واللد والرملة والمجدل وبئر السبع ، او على مساحات اضافية تقدر بحوالي ٥٤٦٣ كيلومترا مربعا ، وحصل الملك عبد الله بالمقابل ، على الضفة الغربية (حوالي ٥٠٠٠ كيلومتر) وضمها الى مملكته الى ان تخلى عنها الملك حسين في عام ١٩٦٧.

وكانت النتيجة ايضا انه من بين ١،٣ مليون

Digitized by Birzeit University Library

عربي كانوا يعيشون في فلسطين قبل عام ١٩٤٨ ، بقي ١٦٠ الفا فقط ، بينما جرى طرد ٨٠٪ من سكانها الى الدول المجاورة.

ومن المفيد الاشارة هنا الى ان الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة ترفض الكشف عن وثائق الارشيف الاسرائيلي الرسمي التي تتعلق بطرد العرب من ديارهم على الرغم من مرور المدة القانونية الا وهي ٣٠ عاما.

ففي عام ١٩٧٩ قررت الحكومة الاسرائيلية تمديد المدة لفترة ٥ سنوات اضافية اي لعام ١٩٨٤ . وفي عام ١٩٨٤ قرر وزير العدل الاسرائيلي موشيه نسيم بناء على توصية وزير الدفاع الاسرائيلي اسحق رابين(قائد عمليات الطرد في العام ١٩٤٨) تمديد المدة ٥ سنوات اضافية وذلك "لمصلحة الدولة ، ومن اجل الحفاظ على سمعتها في العام".

(شمل العرض ثلاثة فصول من الكتاب)

الهوامش :

(١) مدن بئر السبع واللد والرملة والناصرة وعكا كانت ضمن الدولة العربية وفق خطة التقسيم.

(٢) قررت لجنة وزارية شكلتها حكومة الليكود شطب جزء من مذكرات رابين تتعلق بمخطط طرد عرب اللد والرملة . وقد اعادت صحيفة "نيويورك تايمز" نشر هذا الجزء.

(٣) جاء في مقال نشره البروفسور "اسرائيل شاحاك" رئيس عصبة حقوق الانسان في اسرائيل ، في صحيفة "زو هديرخ" انه في المؤتمر الذي عقده "اتحاد بوعلي تسيون " (عمال صهيون) في عام ١٩٣٧ برئاسة بن غوريون ، ايد معظم المندوبين طرد العرب من البلاد ، وكانت المشكلة التي واجهتهم عما اذا كان بالامكان تنفيذ ذلك . واعتبر هؤلاء المندوبون ان طرد العرب هو "ضروري وعادل واخلاقي" وطالبوا ان يتم ترحيلهم الى سوريا او الى العراق . وفي نفس هذا المؤتمر حدد بن غوريون حدود "ارض اسرائيل" بانها تتجاوز حدود فلسطين تحت الانتداب وتشمل جنوب لبنان حتى نهر الليطاني ومرتفعات الجولان والضفة الشرقية لنهر الاردن. ويضيف شاحاك ان فكرة الطرد لم تبق في طور النقاش والتداول فقط ، وانما وضعت لذلك مخططات مفصلة . وقد اوكلت مهمة التنفيذ لمدير الصندوق القومي اليهودي "يوسف فايس" . وكان من زعماء حزب "مباي" ومن الاصدقاء المقربين ل بن غوريون . وفي تموز عام ١٩٤١ اشترك فايس في اجتماع خاص مع موشيه شاريت واخرين ، حيث ناقشوا مخططات الطرد. وفي ايلول من نفس العام توجه فايس الى سوريا حيث تفقد مواقع على ضفاف نهر الفرات في الشمال تصلح لتهجير عرب فلسطين . وهكذا ومع انتهاء عام ١٩٤٨ كانت مخططات الطرد قد نفذت بعناية.

(٤) جرى التوقيع على اتفاقيات الهدنة في عام ١٩٤٩ في جزيرة رودوس. ففي ٢٤ شباط وقعت مصر واسرائيل على الاتفاقيات. وفي ٢٣ اذار وقعت لبنان واسرائيل على الاتفاقيات في راس الناقورة. وفي ٣ نيسان وقعت الاردن واسرائيل،وفي ٢٠ تموز وقعت سوريا اسرائيل ، وتم ذلك في جزيرة رودوس.

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب

الالتزام في شعر ابراهيم طوقان

وعبد الرحيم محمود

- د . ابراهيم العلم -

جمعت بين الشاعرين ابراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود وشائج متينة من البيئة والثقافة والالتزام.. فقد نشأ كلاهما في بيئة واحدة هي مدينة نابلس ونواحيها، فان قرية عنبتا بلدة عبد الرحيم محمود لا تبتعد كثيرا عن نابلس ، ثم انه تلقى تعليمه الثانوي في مدرسة النجاح التي تقوم في مدينة نابلس وكان ابراهيم طوقان احد مدرّسيه ثم ربطت بينهما اواصر الصداقة بعد ذلك. ففي رسالة بعث بها الى ابراهيم قال "فقد كنت اول من غرس في روحي تذوق الجمال او حى الي سامي التصوير والخيال وانت لا تزال كما كانت ملهمي والاخذ بيدي لاخر الشوط . (١)

وقد عايش الشاعران مرحلة تاريخية واحدة تتصف بالغزوة الاستعمارية والصهيونية لفلسطين، وما استولدته من نضال وطني كان رد فعل قوميا حادا، فانتضى ابراهيم طوقان سلاح الشعر للتنديد بهذه الغزوة واستثارة الهمم ضدها، على حين جمع عبد الرحيم محمود الى الشعر حضورا فعليا في معمعان القتال (٢)... فما ان التحق بسلك الشرطة في العام ١٩٣٢ حتى قدم استقالته وزاول التعليم في مدرسة النجاح التي كان تخرج منها قبل سنتين، وذلك حين هبت رياح ثورة وطنية عارمة . فقد بدأت هذه الثورة في يافا ثم انتقلت الى مدن فلسطين الكبرى ، ففي نابلس وحدها حمل السلاح نحو ثلاثة الاف شخص (٣).

فلقد وقف الشاعران من احداث فلسطين موقفا قوميا وكان شعرهما صدى للاحم البطولة والفداء التي استعر اوارها في فلسطين بين الحربين فابراهيم طوقان يكتب في المناضلين قصيدتين هما الشهيد والفدائي ويسجل ممرح ثلاثة من الشهداء الذين اعدموا في اعقاب ثورة ١٩٢٩. وعبد الرحيم محمود يكتب قصيدة بعنوان "الشهيد" واخرى يرثي بها الثائر القائد عبد الرحيم الحاج محمد بقصيدة عنوانها "البطل الشهيد".

Digitized by Birzeit University Library

ولعلنا نستطيع الموازنة بين الشاعرين في القصيدتين اللتين تحملان عنوان "الشهيد".

فابراهيم طوقان يقول :

عبس الخطب فابتسم
وطغى الهول فاقتحم
رابط الجأش والنهى
ثابت القلب والقدم
لم يبال الاذى ولم
يثنه طارىء الالم
نفسه طوع همة
وجمت دونها الهمم
تلتقي في مزاجها
بالاعاصير والحمم
تجمع الهائج الخضم
الى الراسخ الاشم
وهي من عنصر الفداء ومن جوهر الكرم
ومن الحق جذوة
لفحها حرر الامم (٤)

ففي هذه الابيات تصوير نفسي للشهيد وتمجيد لشجاعته فضلا عن ان له من ايمانه بحق وطنه في الحرية ما يوجه مسعاه الى النضال ، على ان الشاعر يرصد الحدث عن كثب ويرى في الشهيد فجر بعث للامة اذ ما اسرع ما الهب النفوس فاطرحت السبات والضغينة :

ارسل النور في العيون
فما تعرف الوسن
ورمى النار في القلوب
فما تعرف الضغن

وألفاظه ذات رصانة وخشونه وفي صوره عنفوان ينسجم مع موقف الشهادة والحس الوطني الذي يحفز اليها.

اما عبد الرحيم فيقول :

سأحمل روحي على راحتي
والقي بها في مهاوي الردى
فاما حياة تسر الصديق
واما ممات يغيظ العدى
ونفس الشريف لها غايتان
ورود المنايا ونيل المنى
وما العين لا عشت ان لم اكن
مخوف الجناب حرام الحمى
اذا قلت اصغى لي العالمون
ودوى مقالتي بين الورى
لعمرك اني ارى مصرعي
ولكن اغذ اليه الخطى
ارى مصرعي دون حقي السليب
ودون بلادي هو المبتغى (٥)

فان الشاعر لا يرصد حدثا وقع كما فعل ابراهيم طوقان بل عاش موقفا نضاليا فهو يبدو اكثر التحاما بقضية الوطن المضطهد، ولهذا كانت لغته اقرب الى لغة الحياة من لغة طوقان من خلال الالفاظ التي استخدمها والتراكيب التي حاكت الواقع "سأحمل روحي على راحتي" و" اذا قلت اصغى لي العالمون" و"وما العيش ؟ لا عشت ان لم اكن مخوف الجناب".

غير ان عبد الرحيم لا يرى خيرا في البطولة الفردية مهما تفوقت ، ففي شعره يطالعنا هذا الايمان بقدرة الشعب على التصدي للمعتدين ورد كيدهم :

فللأوطان اجناد شداد
يكيلون الدمار لأي عاد
يلاقون الصعاب ولا تشاكي
أشاوس في ميادين الجلاد
تراهم في الوغى اسدا غضابا
معاوينا اذا نادى المنادي

Digitized by Birzeit University Library

ثم يقول :

قفوا في وجه اي كان صفا
حديدا لا يؤول الى انفراد

فهو يرى في الجند سوارا منيعا يحوط الوطن ولهذا يدعوهم الى التعاون والتكاتف لئلا ينقب هذا السور فيلج منه العدو اما الصفتان اللتان لا بد من ان برزا في هؤلاء المناضلين فهما : الحماسة الوطنية وقد جسدها الشاعر في صورة الاسد الغضاء والعمل في اطار الجماعة ، لأن البطولة الفردية مهما عظمت فان مصيرها الانهيار.

ويلتقي الشاعران في الايمان بالرابطة القومية التي تضم الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى، وهما يجسدان في هذا الموقف الشعور القومي العام لدى شعب فلسطين، وذلك منذ ان احتدم صراعهم مع الاستعمار البريطاني والصهيونية بعد الحرب العالمية الاولى ، فقد الفى نفسه يواجه صراعا يهدد وجوده في وطنه ويرمي الى اقتلاعه واحلال الاخرين على ارضه ، فلم يعل بين ظهرانية صوت ناشز يغاير صوت القومية العربية بعكس ما حدث في مصر حين ظهرت عنعنات الفرعونية عند طائفة من المثقفين وتغنى بعضهم في لبنان الفينيقية فضلا عن دعوات الاشورية والبربرية في كل من العراق والجزائر .

يقول ابراهيم طوقان من قصيدة "حطين" مخاطبا احمد شوقي :

جل المصاب ابا علي
فابك هاتيك المغاني
ذهب الذين عهدتهم
لا يصبرون على الهوان
في مصر يطمح اشعب
وهنا تبادل اشعبان

فان الخطب الذي يتعرض له شعب فلسطين هو نفسه الذي يعانيه شعب مصر وهو الاستعمار البريطاني الا ان مصيبة فلسطين اشد لان للاستعمار رديفا هو الصهيونية وهو يستخدم تعبيرا مستوحى من بيت شعري قديم وهو "ذهب الذين عهدتهم" مما ينم على حزن عميق على الحاضر بعدما كان الماضي الذي يتجسد في معركة حطين الظافرة يزهو بالكبرياء . اما البيت القديم فهو :

ذهب الذين احبهم
وبقيت مثل السيف فردا

اما عبد الرحيم محمود فيقول :

ايها العرب وانتم امة
لم تنم يوما على سوم الاذاة
قد تصبرتم طويلا فاغضبوا
وتأنيتم كفى لات أناة
فاتكم بالحلم بعض المبتغى
فتلافوابعضه قبل الفوات (٦)

فخطابه للامة العربية يشير في وضوح الى انتماء عميق لها - وما سخطه على موقفها الا توثيق لهذا الانتماء - ثم انه يقف منها موقف المرشد الواعظ ادراكا منه لمسؤولية الشاعر الفنان نحو مجتمعه فضلا عن استخدامه اسلوب الطلب (فاغضبوا) وهو اسلوب غلب على الشعر المحفلي بين الحربين.

على ان عبد الرحيم محمود يمضي في البعد الوطني الى غاية ابعد فيمزجه بمنحى اخر يعمق مفهومه وهو البعد الاجتماعي وذلك بعد عودته من المنفى بالعراق في العام ١٩٤١ ، ولا شك في ان التحاقه بالثورة قد اعانه على تشكيل هذا البعد في شعره فضلا عن تعرفه بالفكر الاشتراكي من خلال الاصدقاء الذين ارتبطت اسبابه باسبابهم في مدينة الناصرة، وكان بعضهم من اعضاء عصبة التحرر الوطني (٧)

Digitized by Birzeit University Library

وقد اشار ابراهيم عبد الستار الى هذا البعد في معرض التعريف بالشاعر "اشتراكي النزعة ذو مبدأ ومذهب في الحياة الانسانية وهو الى جانب هذا معلم الادب العربي في كلية النجاح وشاعر ثائر من شعراء هذا الوطن واديب مطبوع حفز الجيل العربي الجديد الى دفع الاذى الناشب في كيان حماه". (٨)

فمن القصائد التي تتناول هذا البعد الاجتماعي في حديثه عن العامل (٩) في قوله :

هذي القصور وانت رافع سمكها .. هل هن لك ؟
والدوح انت زرعته من حولها... هل ظللك ؟
والنور من يدك صنعته ، لكن سواك له ملك
لا تأس فالدنيا تصير اليك ان دار الفلك.

فهو يقابل بين شقاء العامل ورفاهية الغني مما يعمق صورة العنت الذي يعانيه العاملون ، ولكنه متفائل بان الامر لن يقف عند هذا البؤس ما دامت الدنيا تدور ، فان التفاؤل بالتغيير من سمات الواقعية الجديدة في الادب والفن ، الا انه ادرك ان التفاؤل وحده لا يجدي المرء نفعا اذا افتقر الى العمل الامر الذي سيتضح في انخراطه في الجهاد الوطني .

قضايا الوطن في شعرهما :

عالج ابراهيم طوقان الجانب السياسي من القضية الوطنية على حين صب عبد الرحيم محمود اهتمامه على الجانب النضالي بحكم انخراطه في الثورة الفلسطينية الشاملة التي اندلعت في العام ١٩٣٦ ، واستمرت حتى مستهل الحرب العالمية الثانية فقد ادرك ان المفاوضات بين سلطات الانتداب البريطاني وبين الشعب الفلسطيني تقوم على العبث وليس من ورائها الا المكيدة لتثبيط الهمم :

ظلنا نقول مفاوضات ما الذي
ظلناه الا كسفة وسخام (١٠)

ولقد كان ابراهيم طوقان خلال سنوات الثورة الثلاث مراقبا للقسم العربي باذاعة فلسطين فلم يتح له ان يعبر بشعره عن النضال الوطني في هذه الثورة العارمة .

وقد التقى الشاعران بالعراق اذ اقيل ابراهيم طوقان من منصبه وفر عبد الرحيم محمود بعد انحسار الثورة.

وكان بيع الارض والهجرة الصهيونية والخلافات الحزبية هي جل ما عني به ابراهيم طوقان قبل العام ١٩٣٦ ، فقد تنبه بثاقب وعيه الى المخاطر المحدقة بالبلاد بسبب الاقبال على بيع الارض ، وكان الاقطاعيون هم الباب الذي ولجت منه الصهيونية الى شراء الارض اذ كانوا يملكون ٣٥٪ من ارض فلسطين ، وكانت حكومة الانتداب تملك ٣٠٪ وقد ورثت هذا القسم من الحكومة العثمانية الغابرة . اما ما تبقى وهو ٣٥٪ فكان في حوزة الفلاح الفلسطيني الذي يتعذر ابتياع ارضه لاعتماده عليها في معيشته، ولهذا كان التركيز على الاقطاعيين اذ كانت صلتهم بالارض واهية فسعت الصهيونية الى السيطرة عليها، وكانت حكومة الانتداب قد وهبت لها حصتها كاملة ؛

على ان ابراهيم طوقان لم يتنكب القول في تمجيد الشهداء كما رأينا آنفا، الا ان عبد الرحيم محمود تميز منه بالعكوف على شعر القتال بفضل ممارسته اياه، فما كان له ان يدعو الاخرين اليه على حين يقف مكتوف اليدين . واستأثر ببع الارض باهتمام ابراهيم طوقان لانه رأى فيه بيعا للوطن واقتلاعا للشعب من الجذور :

Digitized by Birzeit University Library

باعوا البلاد الى اعدائهم طمعا
بالمال لكنما اوطانهم باعوا

قد يعذرون لو ان الجوع ارغمهم
والله ما عطشوا يوما ولا جاعوا

وبلغة العار عند الجوع تلفظها
نفس لها عن قبول العار رادع

تلك البلاد اذا قلت اسمها وطن
لا يفهمون ودون الفهم اطماع(١١)

فان بيع الارض لا بد من ان يقود الى تشريد الانسان الذي يقيم على اديمها - ومن هنا كان حزن الشاعر وغضبه، فصب نقمته على اؤلئك الاقطاعيين في قوله "قد يعذرون لو ان الجوع ارغمهم" فقد اعماهم المال عن رؤية المصير البائس الذي يترصد الوطن ولكن ابراهيم طوقان لم يلتفت الى جانب سلبي اخر في سلوكهم وهو اجهاض الثورات التي نهض بها الشعب بسبب اثرتهم فقد غلبوا جانب المصلحة الخاصة على مصلحة الجماعة .. الا انه استنكر الهجرة الصهيونية ورأها رديفا لبيع الارض في العمل على تشريد الشعب. فقال من قصيدة (١٠٠٠) (١٢)

ارى عددا في الشؤم لا كثلاثة
وعشر ولكن فاقه في المصائب

يهاجر الف ثم الف مهربـــا
ويدخل الف (سائحا) غير آيب

والف (جواز) ثم الف وسيلـة
لتسهيل ما يلقونه من مصاعب

وفي البحر الاف كأن عبابـه
وأمواجه مشحونـة في المراكب

فقد كان المهاجرون اليهود يفدون الى فلسطين بطرق شتى بعضها مشروع واكثرها مخالف لانظمة الدخول والهجرة، فان حكومة الانتداب البريطانية سنت قانونا يسمح به دخول الف يهودي كل شهر، الا ان الوكالة اليهودية المسؤولة عن الهجرة الصهيونية كانت تحتال في ادخال الالاف ، فان الحركة الصهيونية كان تقوم على ثلاث دعائم : الوكالة اليهودية لتنظيم الهجرة واعداد المهاجرين والصندوق القومي لتمويل الهجرة وغيرها والجامعة العبرية بالقدس لتوطيد القاعدة الفكرية لهذه الحركة.

وقد سخط (طوقان) على زعماء البلاد في تناحرهم الحزبي لانه صرفهم عن الاهتمام بالقضية المحورية قضية الوطن اذ كانت المصالح الطبقية الضيقة هي التي توجه سلوكهم السياسي فقال من قصيدة بعنوان (القدس) :

دار الزعامة والاحزاب كان لنا
قضيـــة فيك ضيعنا امانيها

هل تذكرين وقـد جاءتك ناشئة
غنية دونها الارواح تفديهـا

تود لو وجدت يوما اخا ثقـة
لديك يوسعها برا ويحميهـا

ما كان كفؤا عفيف النفس كافلها
ولا ابيا حمى الانف راعيهـا

ولا افادت سوى الاحقاد تضرمها
فوق البلاد (زعامات) وتذكيها

فان هذه المدينة المقدسة كانت العاصمة السياسية لفلسطين وكانت حلبة للصراع الحزبي الضيق ولم تكن لهذه الاحزاب ايديولوجية تعتمدها في عملها السياسي بل كانت اشبه بتجمع عشائري تربط افراده المصلحة الفردية والنسب والصلات العشائرية فلم يكن يرجى للبلاد خلاص والحال هذه، وكان نضال هذه الاحزاب يقوم على الاستنكار الكتابي والشفهي والتظاهر المأذون به مما لا يفيد في دفع حركة التحرر الى الامام.

على ان العدو الرئيسي للشعب الفلسطيني كان الاستعمار البريطاني فلم يوله ابراهيم طوقان اهتماما ذا بال بل ركزها على ظواهر والمؤتمرين بامره كبيع الارض والحركة الصهيونية في دأبها على تثبيت اقدامها في البلاد

Digitized by Birzeit University Library

رهي امور ما كان لها ان تنشأ لولا ذلك الانتداب وعسفه...

اما عبد الرحيم محمود فان ارتباطه بقضية الوطن دفعه الى الاستقالة من سلك الشرطة حين الفى انها قبضة الحكومة ضد الشعب ، ويستعر اوار الثورة الفلسطينية فيترك عمله في التعليم في العام ١٩٣٧ ليمارس الكفاح المسلح في جبال نابلس بقيادة عبد الرحيم الحاج محمد (١٢) الذي استشهد في العام ١٩٣٩ . فكان شعره خلال هذه الثورة صدى لنضاله في ميادين القتال ، فاذا كان ابراهيم طوقان يصب غضبه على رجال الاقطاع الذين قادوا الحركة القومية وتلهوا بمغانم خاصة ، فان عبد الرحيم محمود يولي وجهه نحو الشعب بعدما رأى ثورته الجبارة في العام ١٩٣٦ يدوي صداها في اقطار الارض ، ويستمد من التاريخ العربي ما يحفز به الهمم من نحو ويصله بالنهوض الوطني الحاضر من نحو اخر . اذ ظهر ان القيادة القومية السياسية عاجزة عن حمل راية الوطن فلا خير في معمعان النضال الا في اولئك الفلاحين والعمال وهي نتيجة تنبه اليها الشيخ عز الدين القسام (١٤) من قبل حين وجه دعوة الثورة الى سكان بيوت الصفيح في حيفا والى الفلاحين في القرى والدساكر ، فان ثورة ١٩٣٦ هي ثورة فلاحية بالدرجة الاولى ، لان جل مناضليها انتموا الى الريف ، اذ وجد الفلاح الفلسطيني انه بات الضحية الاولى للاستيطان الصهيوني.

واذا كان امل ابراهيم طوقان معقودا على الشباب الذين سيقومون باجلاء الاستعمار عن الوطن كما في قوله :

حي الشباب وقل سلاماانكم امل الغد
صحت عزائمكم على
دفع الاثيم المعتدي
والله مد لك يدا
تعلو على اقوى يد
وطني ازف لك الشباب كأنه الزهر الندي
لا بد من ثمر لـه
يوما وان لم يعقد (١٥)

فان عبد الرحيم محمود يرجو الخلاص بالتضحية والكفاح دون انتظار لما تتمخض عنه الايام :

بني وطني دنا يوم الضحايا
اغر على ربا ارض المعاد
وما اهل الفداء سوى شباب
ابي لا يقيم على الاضطهاد
ومن للحرب ان هاجت لظاها
ومن الاكم قدح الزناد
فسيروا للنضال الحق نارا
تصب على العدا في كل واد (١٦)

ولا شك في ان هذا الفارق في النظرة الى الشباب مرده الى الظروف الموضوعية التي قيلت فيها القصيدتان . فان ابراهيم طوقان يتلمس في الشباب روح العزم بعدما خيم الحزن على البلاد في العام ١٩٢٨ اذ راح سماسرة الارض وتجار السياسة يتكالبون على الثراء مرتقين اليه على ظهر الوطن . اما عبد الرحيم محمود فقد قال قصيدته في معسكر التدريب في دمشق في العام ١٩٤٨ اي بعد عشرين عاما من قصيدة "طوقان" وكانت الحرب الاسرائيلية العربية قد بدأت اشواطها بالظهور ولهذا يمكن القول ان سمة شعره بعامة هي انه شعر مقاتل.

على ان الاثنين قد توقعا النكبة قبل وقوعها فراحا يحذران من مغبتها مما يشير الى وعي الشاعرين القومي فقد وجدا الفارق واضحا بين قيادة تعبث بمصالح الشعب واخرين يعملون ليل نهار على انجاز وعد بلفور . قال ابراهيم طوقان من قصيدة بعنوان "مناهج" :

Digitized by Birzeit University Library

امامك اياها العربي يوم
تشيب لهوله سود النواصي
وانت كما عهدتك لا تبالي
بغير مظاهر العبث الرخاص
مصيرك بات يلمسه الادانـي
وسار حديثه بين الاقاصي
فلا رحب القصور غدا ببـاق
لساكنها ولا ضيق الخصـاص

ففي حديثه عن القصور والخصاص اشارة الى ان النكبة حين تحل لن تفرق بين غني وفقير ، فان يد التشريد ستنال الجميع فهو يحذر اولئك الاقطاعيين انهم سيخسرون كل شيء بهذا الاستسلام الذي يبدونه نحو خطط الصهيونية والاستعمار فهو يقول في القصيدة نفسها :

لنا خصمان ذو حول وطول
واخر ذو احتيال واقتناص
مناهج للابادة واضحـات
وبالحسنى تنفذ بالرصاص

اما عبد الرحيم محمود فيقول من قصيدة "ذكرى الهجرة" :

هاجر الهادي الى رجعي فان
نحن هاجرنا فماذا بعد هجرة
قد خرجنا امس من اندلـس
ودخلنا بعد في نيران حسرة
واذا نحن هاجرنا في غـد
هل يحن الناس للاقصى بزورة

وكان لا ينفك يعلن هذا الحدس حتى وهويستقبل ضيفا زائرا في فلسطين كما فعل في ترحيبه بمقدم الامير سعود بن عبد العزيز في العام ١٩٣٥ اذ قال آنذاك :

يـا ذا الامير امام عينيك شاعر
ضمت على الشكوى المريرة اضلعه
المسجد الاقصى اجئت تـزوره
ام جئت من قبل الضياع تودي
حـرم يبـاع لكل اوكع ابـق
ولـك افـاق شريـد اربعـة
الطاعنـون وبوركـت جنباتـه
ابنـاؤه اعظم بطعن يوجى
وغـدا مـا ادناه لا يبقى سوى
دفع لنا يهمي وسن نقرعه(١٧)

فلم يكن عبد الرحيم محمود يترك ساحة تعرض الا ذكر فيها ابناءشعبه والعرب بخطر التشريد فهو في النص الاول يربط بين الاندلس وفلسطين بجامع الضياع الذي انتاب الاول ويتبع ذلك بذكر المسجد الاقصى الذي يرمز الى الوجود العربي الممتد منذ القدم الى اليوم رغبة منه في دفع الامة الى البذل والتضحية . وقد اعتمد اسلوب الاستفهام الذي يحمل معنى الانكار واللوم.

وهو في النص الثاني يقف مرحبابالامير السعودي وقد مر ببلدية "عنبتا" فلا ينسى ان يعرض للواقع المر الذي يعانيه الوطن فيلمس اثرا حساسا لابد من ان تتحرك القلوب لذكره وهو المسجد الاقصى الذي بارك الله من حوله وكان قبلة المسلمين ذات يوم ، فيعالنه في اسلوب استفهامي يحمل معنى الحسرة والالم انه لن يظل في ايدي العرب وانه سيحجب عنهم انا استمر الحال على ما هو عليه.

بيد ان ارتباط عبد الرحيم محمود بالوطن يبدو اقوى مما لدى ابراهيم طوقان فقد غادر الاثنان فلسطين الى العراق ، اما الاول فزايلها مكرها لانه اشترك في ثورة فلسطين التي انتهت في العام ١٩٣٩ ، ورحل الثاني حين اقيل من وظيفته في الاذاعة وقد تحدثت فدوى طوقان عن اسباب هذه الاقالة في كتابها "اخي ابراهيم"

Digitized by Birzeit University Library

بقولها :" كان للمعاملة السيئة التي لقيها ابراهيم في وطنه وبين قومه تأثير كبير على بنيته النحيلة"(١٨) غير ان ابراهيم طوقان لم يمكث في العراق سوى شهرين وهي فترة وجيزة لا تسعف في بعث الحنين الى الوطن ولا تحفز الخاطر الى قول الشعر فيه ومما يثير الدهشة ان يفتقد القارىء صوت الوطن في شعره حين كان يقيم في لبنان وقد اقام فيه نحو اربع سنوات.

اما عبد الرحيم محمود فلم يفتر ارتباطه بالوطن سواء اكان داخله ام مبعدا عنه، فقال من قصيدة "حنين الى الوطن"(١٩)

تلك اوطاني وهذا رسمها
في سويداء فؤادي متحفر
تتراءى لي على بهجتها
حيثما قلبت في الكون النظر
في ضياء الشمس في نور القمر
في النسيم العذب في ثغر الزهر
في خرير الجدول الصافي وفي
صخب النهر وامواج البحر
في هتون الدمع من هول النوى
في لهيب الشوق في قلبي استعر

الى ان يقول :

يا بلادي ارشفيني قطرة
كل ماء غير ما فيك كدر
ليت من ذاك الثرى لي حفنة
اتملى من شذ التراب العطر(٢٠)

ففي هذا الحنين الى الوطن نفحات صوفية ترق بالجمال وتعذب بصدقها، فهو يذكر مجالي الطبيعة ذكرا يشعر بانتماء عميق اليها، وهو حنين يخلو من السلبيةفان ذكرى الوطن تتغلغل في اطواء صدره فلا ينفك يذكره كل آن فضلا عن ان امنيته العزيزة ان يكحل عينيه برؤيته قبل ان يغادر الدنيا :

منيتي في غربتي قبل الردى
ان املي من مجاليك النظر

فنهما الشعري :

حين يكون الشعر سلاحا في معركة الشعب ضد اعدائه ، فان الشعر يتوخى في تعبيره ما كان سهلا مأنوسا ، وفي لفظه ما كان ادخل في لغة الحياة وهكذا كان شعر كل من ابراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود ، يقول الاول من قصيدة "السماسرة" :

اما سماسرة البلاد فعصبة
عار على اهل البلاد بقاؤها
ابليس اعلن صاغرا افلاسه
لما تحقق عنده اغراؤها
ومن العجائب ان كشفت قدورهم
ان الجرائد بعضهن غطاؤها
كيف الخلاص اذا النفوس تزاحمت
اطماعها وتدافعت اهواؤها

فليس من المفردات هنا لفظة معجمية تشكل على القارىء وهو يراوح بين اساليب الانشاء والخبر وان كان خط الاسلوب الخبري من هذه الابيات اوفر اذ جعل وكده ان يكشف حقيقة هؤلاء السماسرة والاضرار التي يلحقونها بالوطن. وقد غلبت الجملة الاسمية لانها تتفق مع تقرير الحقائق، وفي تعبيره "ابليس اعلن صاغرا افلاسه" صورة من تعابير العامية المفصحة. اما قوله "عار على اهل البلاد بقاؤها" فتعبير نثري واضح اذ كان ابراهيم طوقان يؤمن ان الشعر "عبارات نثرية موزونة" (٢١) ولعل هذا الرأي يتبدى جليا في شعره السياسي .

ويقول عبد الرحيم محمود :

Digitized by Birzeit University Library

شعب تمرس بالصعاب
ولم تنل منه الصعاب
لو همه انتاب الهضاب
لدككت منه الهضاب
متمرد لم يرض يوما
ان يقر على عذاب
عرنينه بلغ السماء
ورأسه نطح السحاب(٢٢)

فان هذه الابيات تتفق مع ابيات طوقان السابقة في غلبة الجملة الاسمية عليها لانها تتصل بالتقرير اما الفاظها فتنضح من لغة الحياة وفي تعبيره نطح السحاب فمحاكاة للتعبير المتداول على الالسنة.

ويتصف شعرهما بانه محفلي الطابع اذ يقوم على التقرير والمباشرة لانه يخوض معركة الشعب ولا يقبع في برج العاج يرقب الحياة عن بعد، فجاءت الصور جزئية قلما تتركب عناصرها في لوحة بارزة الملامح.

الا ان ابراهيم طوقان تميز في شعره العاطفي والاجتماعي بهذه الرمزية التي تلف القصيدة جميعها كقصيدة "مصرع بلبل" فجاءت حكاية شعريةعذبه ، وقصيدة "مرابع الخلود" التي انطوت على نفس قصصي ، وقد قالها في العام ١٩٣٥ بمناسبة الذكرى الالفين للمتنبي.

فضلا عن الاهتمام بالتجويد اظهر في شعر ابراهيم طوقان منه في شعر عبد الرحيم محمود مما دفع ناقدا الى القول ان ابراهيم طوقان "اكبر شاعر انجبته فلسطين حتى اواخر العقد الرابع من هذا القرن "(٢٣)

اما الاخير فيعنى بالفكرة اكثر اذ يتغلغل في مجالي الواقع متلمسا المعاني ذات العمق ، ولا سيما في شعره الذي قاله بعد عودته من العراق في العام ١٩٤١، الا ان رغبته في تقليد المعري في لزومياته اوقعته في التكلف اللفظي كقوله من مقطع بعنوان "سأفلق قلب الظالم".

لغير فؤادي بابنة الكرم سكرة
وسلوى وغيري هام في عطر الريق
وما سكري الا دم الظلم مهدرا
ومن لحمة نقلي وفي القحف ابريقي
ولم يكن الظل الذليل بمقعد
لنفسي ولكن عثير الحرب مشريقي(٢٤)
سأفلق قلب الظلم ابغي طريقه
او الى الحق كيما يسلك الناس تطريقي

اذ يتكلف استخدام بعض المفردات مثل كلمتي "مشريقي وتطريقي" ويتأثر خطى القدماء في بعض الاساليب كقوله "لغير فؤادي بابنة الكرم سكرة". ولعله ينظر في هذا البيت الى قول "البارودي" :

سواي بتحنان الاغاريد يطرب
وغيري باللذات يلهو ويلعب

على ان الفاظه تميل الى الخشونة بحكم انتظامه في الجندية وخوضه المعارك.

ولا بد من الاشارة الى ان طابع الرومانسية الجماعية هو الذي ران على شعرهما الوطني فهو شعر قومي يعبر عن نضال شعبهما عن وجوده في وطنه ، وقد امتزجت هذه الرومانسية الجماعية في شعر عبد الرحيم محمود بالواقعية في اخريات ايامه فرأيناه يعرض صورا فاجعة للفئات المستضعفة كقصيدة "رثاء حمال" وقصيدة "يا عامل" ومقطعة "تمور البصرة".

Digitized by Birzeit University Library

الهوامـــش :

(١) ديوان عبد الرحيم محمود - مقدمة حنا ابو حنا ص ٢٩، الطيبة "المثلث" ، مركز احياء التراث ، سنة ١٩٨٥.

(٢) ولهذا دعاه جبرا ابراهيم الشاعر الفارسي ، الرحلة الثامنة ، فصل "الشاعر الفارسي" ، بيروت في العام ١٩٧٦ ، ص ٤٠ .

(٣) فوبليكوف واخرون ، تاريخ الافكار العربية المعاصر ، الجزء الاول ، موسكو في العام ١٩٧٥ ، ص ٢٢٣ .

(٤) ديوان ابراهيم طوقان ، ص ٤٠ .

(٥) من قصيدة ذكرى الزمان ، الديوان ، ص ١٦٣ .

(٦) من قصيدة الشهيد ، الديوان ، ص ١٠١ .

(٧) محمود غنايم : دراسة في شعر عبد الرحيم محمود ، ص ٤ .

(٨) شعراء فلسطين العربية في ثورتها القومية ، ص ٥٨ ، حيفا ، سنة ١٩٤٧.

(٩) ديوان عبد الرحيم محمود ، ص ٢٢٥ .

(١٠) ديوان عبد الرحيم محمود ، ص ١٣٦ .

(١١) من قصيدة "الى باثعي البلاد" ، الديوان ، ص ٥٤ .

(١٢) الديوان ، ص ٥٨ .

(١٣) قاد الثورة في منطقة جبل النار واستشهد في قرية صانور ، نشأ في قرية ذنابة / قضاء طولكرم ، وكان مصرعه في ١٩٣٩/٣/٢٦ .

(١٤) ولد في قرية جبلة / قضاء اللاذقية عام ١٨٧١ . تلقى العلم في الازهر على يد الشيخ محمد عبده . شارك في الكفاح الوطني ضد الاستعمار الفرنسي (١٩٢٠ - ١٩٢١) فحكم عليه بالاعدام ففر الى حيفا في العام ١٩٢٢ ، وراح ينشيء تنظيما سريا استعدادا للثورة حين تتهيأ لها الظروف وقد قر دعوته على العمال والفلاحين . استشهد في العام ١٩٢٥ ودفن في موكب جماهيري حاشد بقرية (الياجور) / قرب حيفا.

(١٥) من قصيدة تفاؤل وأمل ، الديوان ، ص ٥٠ .

(١٦) من قصيدة "نداء الوطن " .

(١٧) من قصيدة بعنوان "نجم السعود" ، الديوان ، ص ٧٧ .

(١٨) ضم هذا الكتاب الى ديوان ابراهيم طوقان فكان بمنزلة التعريف به الى جانب المقدمة التي كتبها شقيقه احمد طوقان.

(١٩) نظمها في منفاه بالعراق سنة ١٩٤٠ ، الديوان ، ص ١٨٩ .

(٢٠) ديوان ابراهيم طوقان ، ص ٨٤ .

(٢١) عمر فروخ ، شاعران معاصران ، ص ٨١ ، بيروت ، سنة ١٩٥٤ .

(٢٢) من قصيدة الشعب الباسل ، ص ١٠٧ .

(٢٣) احسان عباس ، من الذي سرق النار ، بيروت ١٩٨١.

(٢٤) الديوان ، ص ٢٠٦ .

المراجع

- ابو حنا ، حنا : مقدمة ديوان روحي على راحتي ، الطيبة ، مركز احياء التراث ، ١٩٨٥.

- جبرا ، جبرا ابراهيم : الرحلة الثامنة، صيدا - بيروت ، المكتبة العصرية ١٩٦٧.

- طوقان ، ابراهيم : الديوان ، عكا ، منشورات دار الاسوار ، د.ت.

Digitized by Birzeit University Library

- طوقان ، فدوى : اخي ابراهيم ، يافا ، ١٩٤٦.
- عادل عبد القادر ورفيقاه : عبد الرحيم محمود ، نابلس ، مكتبة البلدية ، ١٩٧٥.
- عباس ، د.احسان : من الذي سرق النار ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨١.
- عبدالله ، د.نافع : الشاعر عبد الرحيم محمود ، ابو ظبي ، ١٩٧٩.
- عبد الستار ، ابراهيم : شعراء فلسطين في ثورتها القومية ، حيفا، ١٩٤٧.
- عبد الرحيم ، محمود : ديوان روحي على راحتي ، الطيبة ، مركز احياء التراث ، ١٩٨٥.
- غنايم ، محمود : دراسة في شعر عبد الرحيم محمود ، القدس ، منشورات ابو عرفة ، ايلول ١٩٨٠.

صدر حديثا:

• صدر عن دار الكاتب ، مؤخرا ، تقرير الامين العام للحزب الشيوعي السوفياتي ميخائيل غورباتشوف المعنون ب "اكتوبر وعملية التغيير". يطلب من :مطبعة شروق - رام الله ، مجلة الكاتب - بيت حنينا ، مكتب جريدة الاتحاد - القدس ، المكتبة العلمية - غزة ، ومكتبة عمير دعنا - باب العامود / القدس.

Digitized by Birzeit University Library

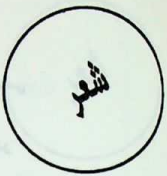

غبار طلعك من دمي

اسعد الاسعد

لوحي بمنديلك
شارفت سفني
شاطئيك
فواعديني
واتركيلي مطرحا
بين رمش العين
ورفة خافق
واعصري ذوب قلبي
قطرة قطرة
ثم اشربيني
مثلك الان انا
يختلني حلمي
واسألي ان شئت عني
المرافيء
والفنارات القديمة
والسفن المشرعة
رمل على الشطآن
ما ارتحلت
حبات الفؤاد
ولا غيّر الموج تكويني

* * * *

الان تعبر جبهة الريح
فيستوي الحلم
وظل الذاكرة
يا زهرة الريحان
تألق الحبق المدوّر
عطر الياسمين
وظل الهاجرة
قومي اشهدي
جسدي صار اشرعه
ودمي على الطرقات
يشهد
هذي عناويني

* * * *

اهو الحلم يدرك صحوه
ام انك اعتدت الفجيعة
منذ الصغر
هذي الوجوه غريبة
مثل موج البحر
اتعبها السفر
وحدك الان
تأكل خطوك العاثر
هذي الحفر
والتجول في بلاد
لست تعرفها
ما زال محفوفا بالخطر
غريب انت
تنكرك المرافيء
فحذار يخدعك النظر
لملم روّاك

Digitized by Birzeit University Library

فليس مثلك
من ينوء بحمله
مدن
تحتل حلمك
فانتظر وعدك
موج يمر
فلا تنكسر
* * * *
لا ضير ان رحل الاحبة
او فارقتك مياه الخليج
لا ضير ان صرنا الفراشات
فانتِ الضياء
على مد النظر
وجع السنين
ودمع سحابة
عبرت
فاكتسى الحنون
حناء
حين تساءلت عيناك
في وجل
اما زال في شاطئيك متسع
لعاشق
ضاقت به الدنيا؟!
اجيبيني!!
ان كان هناك متسع
فادخري من عزيز دمعك

ما لديك ليوم لقائه
هي لحظة
يدركها الغريب
كما الارض اليباب
تذوب عشقا
بالمطر
* * * *
الآن اعود اليك

فاقتربي
ذكر النخيل انا
وغبار طلعك من دمي
اعود اليك
يحملني ندى البحر
ان تعبث امواجه
لوحي بمنديلك
آت انا
يا نصف قلبي
طال انتظاري ام قصر
لكل غريب
مثل المراكب موعد
وقد ازف السفر

Digitized by Birzeit University Library

اني سأشرق من دمك

- يوسف حامد -

بدأ الغيم
يفيض من كل النواحي
عل سمائي
قالت لي الشمس
خذ ما تبقى من جراحك
لا تستكن للغيم
واصعد
في اتجاهي
لك في حروبك
ان صمدت،
وصولك

واصل نهوضك
فالسماء
ومهما تلبدها الغيوم
ستبقى
ايها العربي
بابي
واصل نهوضك

اني من عل
للارض
ارضك
اقترب

زمن القيود
ان صمدت
سيضطرب

واصل نهوضك
فغيوم جوك تحتضر
وقيود ارضك تحتضر
اني سأشرق من دمك
اني سأهزم
فوق ارضك
كل عات

فوق ارضك
من دمك
فأنا تنشقت
لما ذبحت
بأسرك المر
دمك ....

واصل نهوضك
تنشق به
من اشعتي
ما اختزنت طويلا
دمك...

Digitized by Birzeit University Library

واصل نهوضك
واهتف
لا للطغاة
سينتصر الكادحون

بأقوى حياة
ستلتئم الجراح
ستزهر عودة
للشهيد ...
رمز الحياة .

عبد الرحمن الشرقاوي

في ذمة التاريخ

بعد حياة مليئة بالنشاط الفكري والعمل الابداعي ، بعد مشوار طويل مع الحياة بلغ سبعة وستين عاما، توقفت حياة الكاتب المصري عبد الرحمن الشرقاوي.

كان الشرقاوي احد ممثلي الثقافة الوطنية الجديدة التي تفجرت في اعقاب الحرب العالمية الثانية في اواسط الاربعينات من هذا القرن. وكان واحدا من تلك الكوكبة من المناضلين المبدعين الذين فتحوا النوافذ المغلقة لتهب على الثقافة الوطنية رياح الاممية الانسانية.

انخرط الشرقاوي في حركة انصار السلام العالمية ، وكان من مؤسسي مجلة "الكاتب" للسلام والحرية ، التي كان يرئس تحريرها المناضل الوطني التقدمي يوسف حلمي، وحمل الشرقاوي مع رفاق الكفاح الاخرين امثال عبد الرحمن الخميسي ، وصلاح جاهين ، وحسن فؤاد ، ولطفي الخولي، ومحمد صدقي ، وانجى افلاطون وغيرهم ، حملوا جميعا مشعل التقدم في الثقافة والفن فملأوا اسماع العالم العربي ، واثروا حركة التحرر الوطني.

اننا نذكر للشرقاوي من اعماله الابداعية ، قصيدته الطويلة المعنونة "من اب مصري الى الرئيس ترومان" والتي ادان فيها سياسة الدمار الاميركية . ومسرحياته الشعرية "الفتى مهران" و"الحسين شهيدا" و"مأساة جميلة" . وكذلك نذكر روايته الشهيرة "الارض" التي تحولت الى فيلم سينمائي ، وروايتيه "الشوارع الخلفية" و "الفلاح" ونذكر ايضا تراجمه الباهرة "محمد رسول الحرية" وتراجم اخرى كثيرة.

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة :

"ولادة"

عمر حمش

دوما بئر يعوي ، اغطس في البئر واغطس ، اتعلق فيه ، احوم احوم ، يحكمني البئر، يوثقني قانونه ، شعري شاب ، شعري شاب وصار ليفة ، فجأة وجدت شعري ليفة في الظلمة.

نعقت غربان ، نعبت بوم ، جرذان ضخمة تلاحق صيصان الكوخ ، تتمزق صيصان بين الفينة والاخرى ، اشعر اني صوص ، صوص محتار متى يغفو في الظلمة ومتى يصحو ؟

اتذكر ذكورتي في لحظة ، اتحسسها ، تنتصب عروقي ، يطوينا الفراش ، نغافل البئر لحظات ، نغافل الظلمة ، لكن الظلمة دولاب ، دولاب هائل يطوي الايام ، تدور الدنيا تدور ، يلف الدولاب بالدنيا ، يوم .. يومان.. ايام ، يعلو بطنها ، يرتفع ، بطنها في الكوخ يكبر. ارتجف انا ارتجف ، افهم ، ادرك ، طفل يتكون في البطن ، يتكون وينضج طفل في الرحم ، طفل ينوي ان يأتي ، يأتي للظلمة ، يأتي للكوخ ، طفل يأتي لي ، اجرى للبطن المنفوخ ، اسجد ، ارخي اذنيّ ، ارهف السمع لعفرتة المجنون.

دنيانا يحكمها بئر مظلم ، دولاب الظلمة يدور ، حذفني البئر منذ سنين ، رشقني بالكوخ ، بالكوخ القرميدي رشقني ، قالت امي:

ليلتها كانت ليلة عيد ، كانت اخر ايام الجبر سكت الطبالون ليلتها ، فجئت بوجه نكد وفم زاعق.

احملق في البطن ، القربة تأوي المجنون ، تنام بجواري ، مات الناس وما ماتوا ، انفل بصري في الواد ، طن ، وطنت صراصير ، فقط صراصير تطن في ليل المخيم ، ليل المخيم ثقيل ، ليله كليل المقبرة ، او ليل الغولة والشيطان ، الغولة الغولة ، امي حدثتني عن الغولة ، الغولة تخرج من السياج الذي يدمى ، تكتسي بوجه وقوام حسناء ، تختار الغولة ضحيتها ، تحتال الغولة تحتال ، تقود ضحيتها الى السياج ، تنتفض هناك ، تظهر قامتها الشوهاء ، تشهر عينا واحدة مرعبة ،

Digitized by Birzeit University Library

تشهر عينا من وسط الجمجمة، تهرس الغولة الرأس الادمي بقبضتها ، وتبدأ انيابها قضم اللحم.

والشيطان الشيطان ، حدثتني دوما عن الشيطان ، الشيطان يصير بنتا ، البنت تتوه ، يأتي رجل طيب ، يأتي رجل يذهب الى الحصيدة ، يحملها الرجل الطيب ،يلقيها على ظهره ، لكن البنت تطول تطول ، تجر البنت ساقيها على الارض وتضرب رأسها السطوح.

المخيم يطن ، الفراغ سواد مسدود ، لا شيء يرى في السواد ، والبطن فيه المجنون ، المجنون القادم لظلمتنا ، وظلمتنا فيها غيلان ، ظلمتنا فيها شياطين ، غيلان ظلمتنا لا تقضم اللحم وشياطينها لا تمتطي الطيبين ، لو كانت امي لو كانت ، لو كانت :

وحدي الله ، صلي على النبي ، عن حكي عن بكي عن جعفر البرمكي ، وكان يا ما كان .. كان في بلد فيه شياطين وغيلان .. وشاب الصبي ، شاب يا امي ، امسى رأسه ليفة، في بلد يدعى المخيم ، نعم بلد ، او هو بلد وليس بلد ، هو مخيم ، المخيم الذي تشيب فيه رؤوس الصبيان.

تمتد يدها الى الليفة ، تلمسها ، تلمس ليفة رأسي ، تهتز يدها ، تشهق.

وتوتة توتة يا امي .. فرغت الحدوتة يا امي ،

* * * * * * *

أخ

اقفز رمحا في الفرشة ، اتخبط في الظلمة ، اجاهد واصل سراج النفط ، أخ ، تصرخ ، تشرخني ، تتلاحق صرخاتها ، أخ أخ ، تترنح ، تحوم يداها ، تنهار ، الهث محتارا ، اصرخ محتارا ، ادور محتارا ، المخاض ، اعرف انه المخاض ، سيجيء المجنون الان ، الان يجيء ، كيف يجيء ؟ من يخرجه ، من يخرج المجنون في ليل السواد ، ليل المخيم ، من يفلته من الرحم ، يسلمه للبئر ، للدولاب ، المخاض او الطلق ، امي اسمته الطلق ، بل هو الاطلاق ، تطلق الطلقات ، طلقة خلف طلقة ، تطلقها في وجهي ، تفور عيناها ، تصر ، ركبتاها تتثنيان ، يهبط البطن ينزل الى اسفل ، تتهاوى ، اجري بين الجدران ، اعدو في صحن الكوخ ، تأتي امي ، امي تأتي ، حملت امي طشتا فيه ماء ساخن "هيا هيا" تنثرامي تعويذات "هيا هيا يا امي" تتبخر امي ، لا ثمة طشت ولا ماء ساخن ، امي الان كومة عظم منخورة ، اهذي ، العن نفسي ، أخ ، تمزق قماشا بيدها ، تعضني ، اصرخ ، انفض يدي ، من يخرج طفلي يا عالم ، طفلي يأتي ، يأتي الان ، سيشق سواد الليل ويزعق زعقته الاولى ، اتهيأ للزعقة ، أخ ، احضنها ، اسندها ، نمشي او نزحف، ندخل وسط الشارع .

العيادة ، عيادة المخيم ، نزحف الى عيادة المخيم ، نتقدم يلطمنا ضوء جارف سحق لظلمة ، ميزت الرمل الاصفر ، والابواب الصدئة وحروب الجرذان عن اوساخ الشارع ، أخ تضغطني مرعوبة ويضيع الضوء ، أخ ، نتقدم ويعود الضوء ، أخ بخ ، تسقط اعود العن نفسي ، العن يوم ولدت ويوم اموت ، ارفعها ، نتقدم في الضوء ، يتقدمنا ، تعلق بي ، نسبح ، العيادة بالضبط تجاورهم ، الحائط على الحائط ، والباب بجوار السلك ، السلك يرسل الضوء ، يكشف من في الشارع ، آخ ، يلفنا الضوء برشاته ، رسمها حولنا ، ويلف الضوء يلف ، يقطفه المرسل ثم ينشنه.

- اصمدي ، ارجوك اصمدي.

- ينزل ، انه ينزل.

نتحرك كالصيد المذبوح ، اشباح كلاب تأتي ، تنبح ، ترمح في التيار الضوئي ، تلتصق زوجتي بي ، مطحونة ، تفتح الكلاب افواهها، تهاجمنا ، يبتعد الضوء ، تبتعد الكلاب مزمجرة ، تحملق فينا ، أخ ، يعود الضوء ، يقترب بالكلاب الينا ، يبتعد الضوء ، يأتي الضوء ، تبتعد الكلاب ،

Digitized by Birzeit University Library

تأتي الكلاب ، وصرخات الزوجة تقبض روحك ، آخ آخ ، خطوات وتلامس اقدامكما باب العيادة ، الضوء عذاب وحشي ، الكلاب تتحفز عن قرب في الضوء ، تتوثب ، زوجتك تنتحب ، ترتجف ، حلقك يختنق ، خزي يجتاحك ، طفلك يزعق في الداخل ، يتلوى في الرحم.

- آخ ، ينزل ، ينزل ، تصرخ زوجتك.

- ينزل ، ينزل ، تصرخ انت.

تخلع سترتك ، تقبض على طرف السترة وتتحفز ، تتقدم ، تحضن زوجتك تخلع سترتك ، تقبض على طرف السترة ، خطوة ، خطوتان ، يتحرك الضوء ، يهاجمكما ، تعدو الكلاب ، تقفز بالسترة ، تقفل الطريق ، تحول بلحمك بين الكلاب الضارية وزوجتك .

- ادفعي الباب ، ادفعي الباب وادخلي.

صرخت وصرت ذئبا ، هاجمت الكلاب بذراعيك والسترة ، هاجمتك الكلاب بانيابها ومخالبها ، الكلاب لا تمزح ، الكلاب مدربة كيف تمزق اللحم الادمي ، دارت معركة ، ضاع الضوء ، جفناك اغمضتا ، وجاءتك يد تهزك ، تهزك بعنف ، فتحت عينيك فوجدت الطرشاء ، جرتك الطرشاء ، ادخلتك العيادة واتت به .

- واه ، واه

تلويت ، رنت عيناك الجريحتان الى امه ، وفي الخارج كان النباح لا زال يجري في الظلمة.

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب

الحركة المسرحية في المناطق الفلسطينية المحتلة

- وثائـــق -

اعداد : جميل السلحوت

١ - المسرح الفلسطيني

واحدة من ابرز همومنا الثقافية هي عدم توثيق هذه النشاطات والفعاليات من ناحية ، او "اختصار" بعض الحقائق و"اهمال" بعض الفعاليات من ناحية ثانية .

وهذا "الاختصار والاهمال" يقع في غالب الاحيان ضمن اطار "تعمد تغييب بعض الاتجاهات وانكار دورها" فضلا عما تلقاه من نكران وجحود ممن ارادوا لانفسهم دور الوصاية على الثقافة.

يقولون : هكذا .. والا فلا !

ويتبجحون : نحن من قبل ومن بعد ، ولم يكن قبلنا الا قبض الريح ، ولن يكون بعدنا الا الطوفان !

وتضيع الحقائق ، ويصبح الطاووس ، او ريشه الزاهي وحده ، بليلا غريدا، ويشطب اسم البلبل من قاموس الحقائق. ويصبح التاريخ ارجوحة تعلو بفارس زمنا ، وتهبط بمن تقف "السدنة" عنه الريش .

ان خلف الريش الزاهي طيرا مثامرا اعجفا ، فلا هو بالفحم ولا بالشحم ، والفاقد للشيء لا يغني به عن شيء حقيق ، فلا يرد غائلة، ولا يسد وحظة.

كان طموح "الكاتب" دائما توثيق هذه النشاطات والفعاليات الثقافية في المناطق المحتلة، وكان دافعها ان تكون "الحقيقة" هي "الوثيقة" التي لا تضيع ولا تنسى ، وقد رأت هيئة التحرير ان تتوجه الى اصحاب هذه الفعاليات انفسهم ، من كل منحى فني او فكري ، لأن يقولوا كلمتهم الوثيقة هم انفسهم في مرآة ذاتهم.

سنتناول في كل "وثيقة" مجموعة او فردا مبدعا ، ليقول كلمته، دون حجاب او عتاب ، وسيكون دورنا الاصغاء ، كل الاصغاء.

اننا ندعو كل الفعاليات الثقافية للتعاون مع محرر هذه الوثائق ، ليستطيع بدوره ان يرفع صوتها ... للحقيقة والتاريخ .

Digitized by Birzeit University Library

فرقة المسرح الفلسطيني

كي يكون المسرح اداة تعبيرية نضالية تعبوية تغييرية من خلال رؤيا فنية تختلف عن الفرق الاخرى . تأسست فرقة"المسرح الفلسطيني" في تشرين اول ١٩٧٣ ، بمبادرة من محمد الظاهر ، يونس سمرين وفوزي البكري. ثم انضم اليهم في مرحلة التأسيس ليلي الكالوتي ، روحي عبيدو ، احمد ابو سلعوم ، سمير قباني ، ثريا امين ، عيسى الجولاني ، سليمان فاخوري ، داود جابر ومحمد ابو صوي.

وقد قدمت الفرقة منذ ذلك التاريخ وحتى الان عددا من المسرحيات والنشاطات نعرض لها فيما يلي :-

* مسرحية "الرقاصين" : تأليف محمد الظاهر - اخراج فرانسوا ابو سالم . تمثيل :روحي عبيدو ، ليلى كالوتي ، علي يعقوب ، احمد ابو سلعوم ، سمير قباني ، عدنان العويوي، ثريا امين ، سليمان الفاخوري ، داود جابر.

- موضوع المسرحية : الثورة المدروسة والثورة المرتجلة من خلال الحديث عن الصحافة في غياب السلطة الوطنية. وقدمت المسرحية ضمن خمسة عروض في مدينة القدس في نيسان ١٩٧٤ ولقيت اقبالا شديدا.

* مسرحية "حريق الجحيم" : تأليف واخراج جماعي "اعضاء الفرقة" .

تمثيل : روحي عبيدو، سمير قباني ، نبيل ابو سرية ، علي حجاوي ، عدنان العويوي ، محمد ابو صوي ، ومحمد الظاهر واحمد ابو سلعوم.

ومع ان موضوع المسرحية كان الدعوة للوحدة الوطنية الا ان المسرحية لم تنجح جماهيريا واقتصرت على ثلاثة عروض في قاعة المدرسة العمرية في القدس وذلك في تشرين اول ١٩٧٤ .

* وفي بداية عام ١٩٧٥ قدمت الفرقةمسرحية "مجمع القبضايات" تأليف : محمد الظاهر واخراج راغب دعنا . وتتحدث المسرحية عن خرب اكتوبر ١٩٧٣ وانتصار الارادة العربية فيها ، كما تتحدث عن انتصار الارادة الفلسطينية بالاعتراف بوحدانية تمثيل م.ت.ف للشعب الفلسطيني. وقدمت هذه المسرحية في ثلاثة عروض ناجحة.

مثل فيها : احمد ابو سلعوم ، سمير قباني ، محمود عوض ، ابراهيم ابو صبحية ، سمير بزبز ، راغب دعنا، سليمان المهلوس ، نكفوري عيسى واخرون.

* اشتركت الفرقة مع "بلالين" ، بلا - لين ، الكشكول ودبابيس في تأسيس "مجمع العمل والتطوير الفني" الذي توج بالمهرجان الفني الفلسطيني في اواخر شباط واوائل اذار ١٩٧٥ حيث قدمت الفرقة مسرحية "مراكز تفتيش "تأليف واخراج : احمد ابو سلعوم ، وتمثيل : احمد ابو سلعوم ، سميح النوباني ، سمير قباني ، سليمان الفاخوري ، محمد ابو صوي ، سمير بزبز ، وفهمي الشيشتاوي ، وتتحدث المسرحية عن المعاناة على الجسور وقدمت في عرضين ناجحين.

* في ايار ١٩٧٥ قدمت مسرحية "الرسامين" تأليف : محمد الظاهر ، واخراج : سمير قباني ، وتدعو المسرحية الى وقف الهجرة والصمود على

Digitized by Birzeit University Library

ارض الوطن ومثل فيها : احمد ابو سلعوم ، ابراهيم ابو صبيحة ، روحي عبيدو ، محمد ابو صوي وسمير قباني.

وقدمت في ثلاثة عروض في قاعة المدرسة العمرية ، ونتيجة للظروف الصعبة منها ثقل الديكور لم تستطع الفرقة تلبية الدعوات التي تلقتهالتقديم عروض في مناطق اخرى.

* في تموز ١٩٧٥ قدمت الفرقة "موسم الاغنية الفلسطينية" شارك فيه عبد الحميد عبيدو ، وابناؤه. ومسرحية "الله اعلم " تأليف: محمد الظاهر ، واخراج: روحي عبيدو . مثلها :سمير قباني ، فهمي الشيشتاوي، عبد المعطي زاهدة ، روحي عبيدو واخرون.

* في تشرين اول ١٩٧٥ قدمت مسرحية "عند اللزوم" تأليف :محمد الظاهر ، واخراج : روحي عبيدو . وتمثيل : سمير قباني ، عبد المعطي زاهدة ، سليمان الحليسي ، شفيقه الطل ، نبيل سلهب ، فهمي الشيشتاوي ، ايوب حجازي ، روحي عبيدو ومحمد الظاهر .

وتطرح المسرحية اولوية العام على الخاص عندما يتعارضان وهي مسرحية موضوعها سهل ، فيها كوميديا متفجرة ، ووطنية متدفقة حيث تقتل الاخت اخاها في سبيل الوطن.

وقدمت في اربعة وستين عرضا في المدارس والمعاهد والنقابات.

* وفي عام ١٩٧٨ اعيد عرضها مرة اخرى حيث جدد محمد الظاهر اخراجها وحصل تغيير في الممثلين حيث مثلها هذه المرة : شفيقه الطل ، سمير قباني ، احمد ابو سلعوم ، حسام ابو عيشة ، عبد قطان وحمدي الطويل.

قدمت هذه المرة في ستين عرضا.

* وفي عام ١٩٨٤ مثلت من قبل : سهير ابو عيطة ، عماد الهواش، جلال قمصية ، جمال عبد القادر ، عبد الله الرشماوي ، وعمار الرشماوي.

وقدمت في عرضين في بيت ساحور.

* وفي عام ١٩٨٧ اجرى المؤلف تعديلات على النص ومثلها هذه المرة : سهام غزالة ، حسين ذيب ، جمال عبد القادر ، سائد الناشف ، غسان سلسع، ابراهيم ابو جمعة ، عمار رشماوي ، عبد الله رشماوي ، وحسام موسى ، وحيان يعقوب.

* مسرحية "اليد الخامسة" تأليف واخراج : محمد الظاهر.

تمثيل : سمير قباني ، يوسف بطيخة ، ماجدة قرش ، عدنان العويوي، نكفوري عيسى . وتتحدث عن ضرورة الاقتناع بالعمل قبل القيام به من خلال قضية "خطف الطائرات". وقدمت عروضها الاربعة في تشرين الثاني ١٩٨٦ وكانت ناجحة الا ان مشاكل داخلية في الفرقة حالت دون انتشارها.

* وفي نيسان ١٩٧٧ قدمت مسرحية "سرقلعة البوم" تأليف : محمد الظاهر واخراج : حمدي الطويل .

تمثيل : ماجد الكردي ، فهمي الشيشتاوي ، حمدي الطويل ، رقية المغربي ، عدنان العويوي . وتتمحور المسرحية حول " ضرورة ان يكون لكل انسان دور في النضال الوطني " . وقدمت في خمسة عشر عرضا في المدرسة العمرية ، والمطران ومعهد الطيرة ومدينة بيت ساحور . واشتركت في "مهرجان فلسطين " في قاعة المطران.

* وفي تموز ١٩٧٧ قدمت مسرحية "لوحة المولد" تأليف :محمد الظاهر واخراج : حمدي الطويل . تمثيل : شفيقه الطل ، سمير قباني ،

Digitized by Birzeit University Library

عبد قطان ، اكرم كاشور ، حمدي الطويل ، فهمي الشيشتاوي ، وفاء درويش ، فارس برقان ، وحسام الجلاد.

وقدمت في ثلاثة عروض ثم اعيد عرضها في مهرجان فلسطين عام ١٩٧٨ بتغيير الممثلين حيث مثلها هذه المرة : احمد ابو سلعوم ، سهير ابو عيطة ، بيهان ابو عيطة ، رسالة الشوملي ، حسين ديب، منى قسيس، حمدي الطويل واخرون.

وتتحدث المسرحية عن تجسيد الصراع الطبقي في مراحل تاريخية متعددة حتى الوصول الى الثورة الشاملة.

• وفي ايار ١٩٧٨ قدمت مسرحية "الطاعون" تأليف واخراج : محمد الظاهر وتعتبر هذه المسرحية قفزة نوعية من الناحية الفنية والنص، حيث تعالج القناعة الحقيقية والقناعة المزيفة من خلال استعراض امراض اجتماعية متفشية .

وقدمت في اربعة عروض . مثلها : احمد ابو سلعوم ، حسام ابو عيشة ، رسالة الشوملي ، سهير ابو عيطة ، عبد قطان ، اكرم كاشور ، حمدي الطويل ، حسام الجلاد ، سمير قباني ، وهشام حمدية.

• في اب ١٩٧٨ اشرفت الفرقة على "مهرجان فلسطين" الذي استمر سبعة ايام متواصلة في قاعة المدرسة العمرية في القدس والذي اعتبر اكبر حدث فني في حينه حيث شارك فيه ما يزيد على ثلاثمائة فنان قدموا : الاغنية ، الزجل الشعبي ، الدبكة الشعبية ، الموسيقى . وقدمت فيه مسرحيات " المولد" و "الطاعون" و "عند اللزوم" و "سرقلعة البوم".

• في تشرين اول ١٩٧٨ منيت الفرقة بخسارة كبيرة اذ انسحب منهانخبة من اعضائها القديرين وهم : احمد ابو سلعوم ، حسام ابو عيشة ، حمدي الطويل ، واكرم عاشور . ومع ذلك فان الفرقة واصلت نشاطها فقدمت مسرحية "الدخان" في اواخر ١٩٧٨ وهي من تاليف ميخائيل رومان واخراج: محمد الظاهر . وتمثيل : سمير قباني ، حسين ديب،رسالة الشوملي ، سهير ابوعيطة ، بيهان ابو عيطة ، عنتر جرايسة ، وليد بدره ، ايوب حجازي ، ومحمد الظاهر . وكان للمسرحية بعدان اجتماعي يعالج قضية المخدرات وسياسي يعالج عظمة الانسان وقدراته على مواجهة التحديات.

وقدمت في ثمانية عروض في القدس وبيت ساحور.

• وفي ايلول ١٩٧٩ وعلى خلفية النضالات العمالية في فندق السان جورج وشركة كهرباء القدس قدمت الفرقة مسرحية "حفلة ارتجال من اجل العمال" ، تأليف واخراج : محمد الظاهر

. وتمثيل : سهام غزالة ، ريما الشاعر ، نبيلة ابو عيطة، منى قسيس ، سهير ابو عيطة ، يوسف بطيخة، محمد مناصرة ، حسين ديب، سمير قباني ، غسان سلسع، جلال قمصية ، فيصل الهدمي ، وابراهيم جوهر .

وعالجت المسرحية نضال العمال والصراع الطبقي ونبذ فكرة المساومة على حقوق العمال . ولقيت المسرحية نجاحا كبيرا حيث قدمت حوالي سبعين عرضا في القدس ، بيت لحم ، بيت ساحور ، نابلس ، طولكرم ، المعاهد والنقابات.

• في نيسان ١٩٨٠ وبينما كانت الفرقة تقوم باستعدادات كبيرة لتقديم عروض في الاول من ايار عيد العمال العالمي ، منعتها السلطات من تقديم عروضها ، لهذا السبب ولاسباب اخرى منها مشكلة قاعات العرض جمدت الفرقة نشاطاتها من ذلك التاريخ وحتى تموز ١٩٨٤.

Digitized by Birzeit University Library

• مسرحية "ام علي" ، تأليف : محمد مناصرة ، واخراج : سهام غزالة. وتمثيل : سهام غزالة ، ريما الشاعر ، محمد مناصرة ، حسين ديب. وعالجت المسرحية موضوع الهجرة والانتماء للارض وقد عرضت في جامعة بيت لحم ، بيت ساحور ، الناصرة ورام الله.

• في تموز ١٩٨٤ اعادت الفرقة نشاطها فتدربت على مسرحية "بلا وجه" تأليف : الكاتب البلغاري يوجيدار بوجيلوف . واخراج : محمد الظاهر ، حيث قدمتها في كانون اول ١٩٨٤ ، وتتحدث المسرحية عن تضحيات الانصار في الحرب العالمية الثانية ، وقام بتمثيلها : رسالة الشوملي ، عواطف الشوملي ، عماد الهواش ، حسين ديب ، جمال عبد القادر ، بلال رمضان . وقدمت اثني عشر عرضا في القدس ، بيت ساحور والطيبة / قضاء رام الله.

• وفي ايار ١٩٨٥ قدمت مسرحية "عندما يبعث الموتى" تأليف واخراج : محمد الظاهر ، وتمثيل : رسالة الشوملي ، بلال رمضان ، عمار رشماوي ، عواطف الشوملي ، عدنان العويوي ، محمد صبيح ومجموعة اطفال . وتمحور موضوع المسرحية - التي قدمت في خمسة عروض على مسرح الحكواتي - حول مقاومة نهج الاستسلام.

• وفي نهاية عام ١٩٨٥ قدمت مسرحية "من العاقر"؟ تأليف واخراج : محمد الظاهر ، وتمثيل : سهير ابو عيطة ، حسين ديب ، جعفر دراغمة.

وعالجت المسرحية حقوق المرأة وقهرها في المجتمع الرأسمالي كما اشارت الى عقم الاستسلام . وقدمت في اربعين عرضا في القدس ، بيت ساحور ، نابلس ، رام الله ، وعقبة جبر ولا تزال تعرض حتى الان .

وقد اعاد حيان يعقوب بالتعاون مع محمد الظاهر اخراجها على شكلها الحالي.

• وفي اذار ١٩٨٦ قدمت مسرحية "لعنة عتريس" تأليف : محمد الظاهر ، واخراج : حيان يعقوب ، وتمثيل : سهام غزالة وحيان يعقوب ، وتطرح المسرحية قضية التجريبية في الخروج على الواقع المألوف وهي عبارة عن نسف للعلاقات الاجتماعية من خلال التربية الرأسمالية ، وقدمت في اربعة عروض على مسرح الحكواتي.

• وفي ايلول ١٩٨٧ قدمت مسرحية "الصرخة" تأليف واخراج : محمد الظاهر . وتمثيل : حسين ديب ، وضيافة حسام ابو عيشة - من المسرح الشعبي / سنابل - . وموضوعها يتحدث عن قسوة الفوارق الطبقية في المجتمعات الرأسمالية. وقدمت ثلاثة عروض ولا زالت مستمرة.

مشاريع آنية ومستقبلية :

ما زالت الفرقة تقدم مسرحيات "عند اللزوم" و" من العاقر" و "الصرخة" وتجري استعدادات تمهيدية لمسرحية "ابانا الذي في الارض" تأليف :محمد الظاهر ، وهي عبارة عن مونودراما نسائية من "ممثلة واحدة" هي سهام غزالة وهي معالجة لمفاهيم المجتمع الرأسمالي حول الحياة وخصوصا "النظرة للمرأة" ، كما تبحث الفرقة عن عمل اخر تشترك فيه كل الفرقة.

الاعضاء المركزيون :

يوجد في الفرقة عشرات الاشخاص لكن العمود الفقري للفرقة يتكون من : سهام غزالة ، محمد الظاهر ، حسين ديب ، غسان سلسع ،

Digitized by Birzeit University Library

وسائد الناشف.

سهام غزالة :

فتاة فلسطينية من بيت جالا تعمل مدرسة للدراسات الثقافية واللغة الانجليزية في جمعية الشابات المسيحية في القدس . خريجة جامعة بيت لحم لغة انجليزية . شاركت في عدة اسكتشات مسرحية اثناء الدراسة في الجامعة حيث كانت سكرتيرة النادي الفني في مجلس الطلبة عام ٨١ - ٨٢ ، شاركت في مسرحية "بيت من زجاج" مع جورج ابراهيم ، شاركت في مسرحية "رجال لهم رؤوس" مع فرقة الرحالة ، الفت واخرجت مسرحية "ما زالت تنتظر" خلال تدريسها لمادة المسرح والدراما في مدرسة الفرندز للبنات في رام الله ، كما مثلت مع فرقتي القدس للفنون والمسرح الشعبي الفلسطيني. تكتب "الاسكتش المسرحي" وتمثله، حبها للمسرح يتعدى مجرد كونه هواية وهذا الذي جعلها تقنع اهلها بان تكون ممثلة مسرحية وتذلل كافة الصعوبات التي واجهتها كفتاة. وتدير في العطلة الصيفية مخيمات الاطفال التي تقام في رام الله لمدة شهر وتحتضن فتيات من المخيمات الفلسطينية في المنطقة وتقدم فيها فقرات فنية من ضمنها: اخراج مسرحية تقدم للاطفال . فعلى سبيل المثال قدمت مسرحية "الغضب لزكريا تامر" وهذا العام قدمت مسرحية "المخيم" عن اوضاع الفلسطينيين وتمشيا مع "عام المشردين والذين لا مأوى لهم".

محمد الظاهر :

كاتب مسرحي اكثر من كونه ممثلا مسرحيا او مخرجا هكذا يعرف نفسه ، ولد عام ١٩٥٢ ، درس اللغة العربية في جامعة بيت لحم متزوج وله اربعة اطفال ، موظف في شركة كهرباء القدس ، يعشق المسرح ويؤمن بانه اداة نضالية تعبوية تغييرية في سبيل الواقع الافضل. يساهم من خلال المسرح بتحقيق ايمانه بحقوق شعبه في تقرير المصير كبقية الشعوب.

يرى محمد الظاهر وسهام غزالة ان فرقة "المسرح الفلسطيني" تقدم الافضل والانضج وهي الوحيدة التي تعتمد على النص المحلي والقدرات المحلية وتتميز فيما تقدمه من حيث الشكل والمضمون ويريان انفرقاأخرى تتفوق عليهم في الاتصالات العامة وفي الناحية المادية.

محمد الظاهر والحكواتي :

يرى محمد الظاهر ان الحكواتي انتهج التزييف في تأريخ الحركة المسرحية في الداخل والخارج ، مع عدم انكار نشاط اعضاء الحكواتي وامكانياتهم المادية في بناء مركز الحكواتي لكن ان تستغل امكانياتهم المادية لخنق الحركة المسرحية وطمسها وتجاهل دورها وسرقة مكتسباتها . فهذا ليس مقبولا ، والعملية تلمس من خلال استغلال المركز لتنسيق عروض لفرقة الحكواتي وحدها وتجاهل الفرق الاخرى والتقليل من اهميتها وهم ناجحون في دعايتهم مع الاسف . ويناشد مع زميلته سهام غزالة القوى الشريفة والصحف المحلية العمل على وقف هذا التزييف.

مشاكل تواجه الفرقة :

الاحتلال والرقابة العسكرية ، وقلة الامكانيات المادية وعدم التفرغ في الفرقة .

*** ملاحظة :**

كل الشكر لسهام غزالة ومحمد الظاهر لتعاونهما معنا في اعطاء المعلومات حول الفرقة ونشاطاتها.

Digitized by Birzeit University Library

البدايات الجنوبية للدكتور عبد العزيز المقالح

صدر مؤخرا عن دار الحداثة ببيروت كتاب البدايات الجنوبية للشاعر اليمني المناضل الدكتور عبد العزيز المقالح . ويعرض الكتاب بالنقد والتعريف لعدد من الشعراء اليمنيين الشباب.

والدكتور المقالح هو رئيس الجامعة اليمنية في صنعاء ورئيس مركز الدراسات والبحوث ، وقد اصدر في العام الماضي كتابه الهام "ازمة القصيدة العربية ، مشروع تساؤل ".

ومن المعروف ان الدكتور المقالح حصل مؤخرا على جائزة اللوتس العالمية التي يقدمها اتحاد كتاب اسيا وافريقيا كل عام لابراز جهد ثقافي.

واصدارات جديدة

عن دار الاسوار بعكا صدرت اربعة كتب جديدة وهي :

* دراسات في الادب الفلسطيني المحلي للناقد نبيه القاسم ، كانت الجديد قد نشرت معظم محتوياته في مقالات نقدية.
* دراسات ادبية للقاص جمال بنورة وهي دراسة نقدية لقصص غسان كنفاني وماجد ابو شرار ويحيى يخلف واكرم هنية وسحر خليفة .
* احزان في ربيع البرتقال للناقد وليد ابو بكر يتحدث فيه عن فن سميرة عزام القصصي ويحتوى على ١١ مقالة عن ادب سميرة عزام ، بالاضافة الى فصل من رواية وقصة قصيرة.

" الديك المغرور"

وعن المكتبة الفضية للناشئة صدرت قصة الكاتب ابراهيم جوهر للاطفال بعنوان "الديك المغرور". وتقع القصة في ٥٢ صفحة من الحجم الصغير مزينة برسومات للاطفال خطها الفنان سليمان منصور ، وذيلت بمجموعة من الاسئلة للمناقشة.

فوفو الصغير

حملت قصة الاطفال الجديدة للكاتب صفر السلايمة عنوان "فوفو الصغير" وقام باخراجها واعداد رسومها المكتب الفني، وتقع القصة في ١٧ صفحة من الحجم المتوسط.

وكان الكاتب صفر السلايمة قد اصدر مجموعة من قصص الاطفال ، وسوف تصدر له قريبا قصة بعنوان "الرجل والافعى".

"الصحافة الفلسطينية تحت الاحتلال"

عنوان الكتاب الثالث لرئيس رابطة الصحفيين العرب ، رضوان ابو عياش ويقع الكتاب في ١٨٣ صفحة من القطع المتوسط / الكبير ويتضمن خمسة فصول تتحدث عن تاريخ الصحافة الفلسطينية والممارسات الاسرائيلية بحقها. وقد صدر ملخص باللغة الانكليزية لهذا الكتاب.

شركة كهرباء القدس - القضية والموقف

اصدرت نقابة عمال

Digitized by Birzeit University Library

وموظفي شركة كهرباء القدس كتابا بعنوان "شركة كهرباء القدس - القضية والموقف" ، تضمن مقالة حول مسيرة الشركة منذ عهد الانتداب ، في عهد النظام الاردني وتحت نير الاحتلال الاسرائيلي . وتحدث الكتاب حول اعتصام عام ١٩٧٩ وبروز الدور الكفاحي للطبقة العاملة في الشركة ، وتطرق الكتاب لجذور ازمة الشركة والمحاولات الاسرائيلية للاستيلاء عليها.

اصداء ثقافية:

الافراج عن "ناطرين فرج"

واخيرا .. وبعد توقف عن عروضها ، بسبب منعها من قبل الرقابة ، تعود "ناطرين فرج" العمل المسرحي للمسرح الشعبي / سنابل الى عروضها الصباحية والمسائية.

والمسرحية مستوحاة من جنوب افريقيا ، حيث التقطت صورها من حي سويتو وشارع البرت في جنوب افريقيا ، قامت الفرقة باعدادها واسقاطها على واقعنا المحلي ، وقام المخرج حيان يعقوب باخراجها.

كما ويحيي المسرح الشعبي / سنابل وفي الذكرى الرابعة لميلاده يوم ٥ /٨٧/١٢ حفلا فنيا ساهرا حيث يقدم العديد من المشاهد المسرحية ، ويستضيف الفرق الفنية ومجموعة من شعرائنا.

"كاليجولا"

كاليجولا - مسرحية للكاتب الفرنسي البير كامي ، تجري عروضها حاليا على خشبة مسرح النزهة / الحكواتي وتقدمها فرقة الورشة الفنية ، ويخرجها جورج ابراهيم ، ويسعى البير كامي في مسرحيته "كاليجولا" الى تصوير احدى مأسي العصر والمتمثلة في مأساة المذاهب الفلسفية المثالية ، والحضارة الاوروبية الرأسمالية.

"اصح يا هابيل"

قدمت فرقة الجوال المقدسية مسرحيتها "اصح يا هابيل" والتي تستحضر شخصية هابيل التاريخية وتوظفها لخدمة معطيات واقعنا المحلي باسلوب ساخر، المسرحية من تأليف واخراج صقر السلايمة.

مسرح النزهة الحكواتي يصدر برنامجه الشهري

اصدر مركز النزهة / الحكواتي برنامجه الشهري ، المتضمن نشاطات وفعاليات مسرحية وفنية وثقافية عدة خلال شهر كانون الاول ١٩٨٧ .

ومع مطلع الشهر تستمر فرقة الورشة الفنية في تقديم عروضها الصباحية لطلبة المدارس لمسرحيتها "كاليجولا" ، ايام الثلاثاء والاربعاء والخميس ٨٧،١٢،٣،٢،١، وكذلك ايام الثلاثاء والاربعاء والخميس ٨٧،١٢،١٠،٩،٨.

ويحتفل المسرح الشعبي / سنابل واصدقاءه بالذكرى الرابعة لميلاده ، وذلك يوم السبت ٨٧/١٢/٥ في السادسة مساء ، حيث سنشاهد المسرح والغناء والشعر والدبكة .

وتستضيف لجنة المرأة العاملة الفلسطينية / بالقدس . جوقة يعاد الغنائية يوم الاحد ٨٧/١٢/٦ في السابعة مساء ، حيث ستقدم الجوقة عرضا خاصا لمجموعة من اغانيها الجديدة.

ويهدي قسم الموسيقى في المركز ضيوفه الاعزاء وبمناسبة الاعياد المجيدة امسية موسيقية تقدمها مجموعة رباعي اوروبية تعزف بعض الاعمال الموسيقية من عصر الباروك لمجموعة من المؤلفين الالمانيين والايطاليين والانكليز وذلك يوم الخميس ٨٧/١٢/١٠ في السادسة مساء .

وبعد افراج الرقابة عن مسرحية "ناطرين فرج" يعود المسرح الشعبي / سنابل ليقدم المسرحية في سلسلة من العروض المسائية ايام الجمعة والسبت والاحد ١٢،١٢،١١ في السادسة مساء ، اضافة الى العروض الصباحية ايام الاثنين ، الثلاثاء، الاربعاء ١٩٨٧/١٢/١٦/١٥/١٤.

Digitized by Birzeit University Library

رسائل وردود

* **الصديق م.ح.ج - غزة معسكر الشاطيء**

موضوعك حول "اليسار في الكيان الصهيوني" ينقصه الكثير ، حتى يصبح صالحا للنشر، وذلك انك اغفلت الحديث عن بعض الجوانب الهامة المتعلقة بالموضوع بالاضافة الى اغفالك كثيراً من التجمعات على صغرها .

من جهة ثانية ، فان الحديث عن اليسار في الكيان الصهيوني يتطلب دراسة جادة للمجتمع الاسرائيلي ، بكل جوانبه الاقتصادية والسياسية والطبقية ، للخروج بدراسة شاملة لهذا الموضوع الهام . بحيث تلم بكافة جوانبه. ولذا ، حبذا لو اطلعت على بعض ما صدر من دراسات في هذا الموضوع . وهي كثيرة ومتوفرة.

* **الصديق م.ص - بيت جن**

كلماتك التي عنوانها "عندما" ، تفيض بالمعاني الجميلة ، والعواطف المتأججة حقدا وغضبا على "ناهشي لحم الشعوب ، وشاربي دم القلوب" ، لكن مضمونها الجيد ، لم يتماثل وشكلها ، ذلك ان اي عمل فني شكل ومضمون ، ولا بد من تماثلها حتى يكتمل العمل والابداع ، والى لقاء اخر مع عمل جديد.

* **الصديق محمود موسى مرار - بيت دقو**

قصيدتك الجميلة ، تنم عن مقدرة تحتاج الى المزيد من الجد والعمل على تطويرها ، يقول الصديق محمود في قصيدته :

تحياتي لارضي كل يوم
فمنها الخير او فيها الجنايا
وان لم ارتأيها ذات يوم
فذاك اليوم لم الق هنايا
وان عانيت سقمي بعض يوم
فمن منبوتها اجعل دوايا
وقل للبائعين تراب ارضي
الى الشيطان قد راحوا ضحايا
عليهم لعنة الناس جميعا
من الاحداث تأتيهم منايا
وقل للصامدين على ثراها
من الرحمن قد نالوا الهداية
وان هم خيروني عند موتي
لقلت الارض آخذها معايا

* **الصديقة جهاد - جامعة بيت لحم**

نشكرك على ثقتك التي نعتز بها ، ونأمل ان نتمكن من السير قدما نحو اهدافنا العظيمة والنبيلة ، خاطرتك "شظحات مغترب" جميلة وهي جديرة بالنشر ، لكننا لن نتمكن من نشرها في مجلة الكاتب ، حيث ان الخاطرة اكثر مواءمة للنشر في صحيفة ،ونرحب بك صديقة للمجلة.

* **الصديق سالم جبرائيل نخلة - الرامة - الجليل الغربي**

جميلة كلماتك ايها الصديق العزيز ، واجمل منها هذا التحدي الذي تبديه ارادتك اقوى من اي تحد ، اثلجت صدورنا رسالتك ، وثق اننا نفخر بك ونعتز بصداقتك ، تمنياتنا لك بالصحة والعافية ، ونرجو ان نظل عند حسن ظنك وثقتك.

تنويه

وقع في العدد ٩١ خطأ مطبعي حيث ذكر ان كاتب المقالة بعنوان "مسرح البيركامو" هو محمود داود والصحيح انه محمد داود لذا اقتضى التنويه.

Digitized by Birzeit University Library

الفهرس السنوي

السنة الثامنة ١٩٨٧

اسم صاحب المقال	عنوان المقال	العدد	الصفحة
	سياســـة		
اسعد (ال)اسعد	لمصلحة من هذه الحرب المجنونة؟	٨٢	٣
	سبعون عاما على طريق السلم والاشتراكية.	٩١	٣
الكاتب	صفحة جديدة في حياة الحركة الوطنية الفلسطينية	٨٥	٣
	عشرون عاما على الاحتلال.	٨٦	٣
برغوثي (ال) بشير	عشرون عاما من الاحتلال، عشرون عاما من الصمود والتصدي	٨٧	٣
	الاثر العالمي لثورة اكتوبر في ظل عملية اعادة البناء في الاتحاد السوفييتي.	٩١	٧
بطراوي (ال) محمد	حملة صليبية ضد الارهاب "ترجمة"	٨٤	١٣
بورنو(ال) فضل	الصفقة الفضيحة بين الاسباب والدوافع	٨١	٣
حمدان عبد المجيد	النضال من اجل نزع السلاح النووي	٩١	١٩
رزق فؤاد	١لتعايش السلمي ضرورة موضوعية لحماية البشر من الدمار	٨١	١٢
رمزي انور	١١٧ عاما على ميلاد لينين، افكار حية ومباديء خالدة	٨٤	٣
	التغيير واعادة البناء،شعار احتفالات الذكرى السبعين لثورة اكتوبر.	٩١	٣٥
زغلادين فاديم	المعضلات العالمية وتقدم البشرية اجتماعيا	٨٨	٦٩
سامي عيسى	مقاطعة المنظمات الامريكية التطوعية الخاصة في المناطق المحتلة هي الكفيلة باحباط الدور المشبوه الذي تحاول ان تلعبه.	٨٨	٥٢

Digitized by Birzeit University Library

شريف (ال) د.ماهر	الشيوعيون الفلسطينيون ومنظمة التحرير الفلسطينية ١٩٦٤ - ١٩٨٣	٨٥	٨
شهاري (ال) د.محمد علي	شكل خاص لدولة بونبارتية في شمال اليمن تعبيرا عن مرحلة انتقالية خطيرة		
	الجزء الاول	٨١	٦٦
	الجزء الثاني	٨٢	١٦
	الجزء الثالث	٨٣	٥٢
عاروري تيسير	اضواء على خلفية الحرب ضد المخيمات الفلسطينية	٨٣	١٧
عاروري (ال)د.نصير	حملة صليبية ضد الارهاب	٨٤	١٣
	المأزق الفلسطيني القيود والفرص	٨٨	٢٦
فاسيليف الكسي	الشرق الاوسط لا بد من ايجاد حل لمشكلاته	٨٣	٢٣
فرحات دوريس	الشرق الاوسط لا بد من ايجاد حل لمشكلاته"ترجمة"	٨٣	٢٣
كارول جون ج	حملة صليبية ضد "الارهاب"	٨٤	١٣
ميلنيكوف يوري	حول نظرية "الدولتين العظميين"	٩٠	٣٨
نيكيتين الكسندر	الاسس الايديولوجية للسياسة الخارجية الامريكية	٩٠	٢٤
يحيى عادل	تأثير اللجوء على المواقف السياسية للاجئين الفلسطينيين في الضفة الغربية.	٨٦	٢١٥
	كلمتنا - ليكرس العام الجديد من اجل الوحدة الوطنية	٨١	غلاف
	الاعلام الامبريالي ومضمونه الطبقي	٨٣	٧٠
	النص الكامل للبيان السياسي الصادر عن دورة الوحدة الوطنية، دورة صمود المخيمات الفلسطينية ونضال شعبنا في الارض المحتلة.	٨٥	٨

اقتصاد

ابو سيدو هاشم	ترجمة	اقتصاد قطاع غزة الى اين ؟"ترجمة"	٨٦	٧٢
ابو عمرو د.زياد		اقتصاد قطاع غزة الى اين ؟	٨٦	٧٢
ابو نحلة د.ليس	ترجمة	بعض القضايا البارزة في تنمية المناطق الفلسطينية المحتلة "تقرير مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية"	٨٢	٩

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب			
برغوثي (ال) سمير	الاتجاهات العامة في تطور الاقتصاد الاسرائيلي		
	الحلقة (٥)	٨١	٤٢
	الحلقة (٦)	٨٣	٢٨
	الحلقة (٧)	٨٤	٣١
جودة د.قاسم	الضرائب واثارها الاقتصادية والاجتماعية في الضفة الغربية والقطاع.	٨٦	٤٢
حسن د.عفيف	الطاقة الكهربائية في الضفة والقطاع ، الواقع البدائل	٨٧	٣٥
زكي د. رمزي	ملاحظات حول استراتيجية التنمية في البلدان المتخلفة	٩٠	٢
عاروري (ال) تيسير	الفوائد الاقتصادية التي تجنيها اسرائيل من احتلالها للضفة الغربية وقطاع غزة.	٨٦	٩٦
عبد الله د. سمير	تقرير مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية، اخر التطورات الاقتصادية في المناطق الفلسطينية المحتلة.	٨١	٣٠
	الاتجاهات العامة في تطور الاقتصاد الاسرائيلي		
	الحلقة (٥)	٨١	٤٢
	الحلقة (٦)	٨٣	٢٨
	الحلقة (٧)	٨٤	٣١
	تأثير الاحتلال على تطور القاعدة الانتاجية للاقتصاد الفلسطيني.	٨٦	٥
علاونة عاطف	التبادل التجاري غير المتكافيء بين الاراضي المحتلة واسرائيل.	٨٦	٥٨
محمد سليم	خطة التنمية في ضوء تجربة اللجنة المشتركة	٨١	٢٠
مركز ابحاث الكاتب	شركة كهرباء محافظة القدس، بعد عشرين عاما من الاحتلال	٨٨	٣

تاريخ وفلسفة وتحرر وطني

			١٦
ابو عمرو د.زياد	لماذا الشطر الجنوبي من اليمن ؟	٨٩	٧٠
	تجربة الحزب الاشتراكي اليمني الدروس والعبر		
برغوثي (ال) بشير	بعض السمات الاستثنائية لحركة التحرر العربية	٨٣	٣
بشارة د. عزمي	اطروحات حول الغيبية في الفكر الصهيوني	٨٢	٣٢
	الحلقة الاولى	٨٣	٤٣
	الحلقة الثانية		

Digitized by Birzeit University Library

صالحه محمود محمد	لمحة تاريخية عن حياة المجدل الزراعية	٨٧	٤٤
عبد الرضا د. ماجد	القضية القومية الكردية ، نشوءها ومراحل تطورها	٨٢	٦٥
عراقي (ال) محمد	معاداة الشيوعية في العراق	٨٥	٤٧
عليان سهى	البيروقراطية في البلدان النامية	٨٢	٤٦

قضايا عمالية وقضايا المرأة

اتحاد لجان المرأة العاملة الفلسطينية	المرأة الفلسطينية - عشرون عاما في مواجهة الاحتلال -	٨٦	١٩٨
حزبون جورج	الحركة النقابية والمهام الراهنة	٨٥	٢٦
خضر سامي "ترجمة"	التعاونيات الزراعية ومكانة المرأة - التجربة الفيتنامية -	٨٣	٨٣
كمال خيري	الحركة النقابية العمالية في مصر ، الوصاية والاحتواء والتبعية ، نحو برنامج لتحرير الحركة النقابية.	٨٣	٧٥
وايت كريستين بلزر	التعاونيات الزراعية ومكانة المرأة - التجربة الفيتنامية -	٨٣	٨٣

مجتمع

برغوثي (ال) محرم	من ابداعات شعب تحت الاحتلال - العمل التطوعي نواه لحركة جماهيرية.	٨٦	٢٠٩
حليلة سمير	تقييم الموارد البشرية الفلسطينية ، التعليم العالي والقوة البشرية (ترجمة)	٨٤	٥١
خضر سامي	قراءة في دراسة اوضاع محو الامية في الوطن العربي	٨٣	٤٠
ستريز جيرار	القدس بين الماضي والحاضر	٨٦	١٨٨
سلحوت (ال) جميل	الانسان السوفياتي من هو وكيف هو	٨٨	٩٠
طاهر جميل	التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في عرب السواحرة	٨٣	٨١
	تقييم الموارد البشرية الفلسطينية ،التعليم العالي والقوة البشرية.	٨٤	٥١

Digitized by Birzeit University Library

نويشياني جيرمن	الطابع التصنيفي للنمذجة العالمية	٨٩	١٠١
ياسين عمر	الاحتلال الاسرائيلي وحقوق الانسان	٨٣	٩٥
	"كم يكلف" الطفل؟	٨٣	٩٥
	العلنية،الديموقراطية،المسؤولية	٨٤	٨٧
	بعض مزاعم ووقائع كثيرة عن الاشتراكية	٨٧	٥٢
	انسان العمل في العالم المعاصر	٨٧	٥٧

ثقافــة

ابو لبن صالح محمد	خليل السكاكيني ، حياته ، فلسفته	٨٢	٩١
جريري (ال) علي	الثابت والمتغير في العملية التربوية في الاراضي المحتلة بين ١٩٦٧ - ١٩٨٧.	٨٦	٢٧
د.جمعانيني نعيم حبيب	واقع التعليم في العالم العربي - دراسة نقدية من زاوية ديموقراطية التعليم.	٨٨	٣٨
	اخبار ثقافية	٨١	١٢٦
	اخبار ثقافية	٨٢	١٢٦
	اخبار ثقافية	٨٤	١٢٤
	اخبار ثقافية	٨٥	١٢٦
	اخبار ثقافية	٨٧	١٢٤
	اخبار ثقافية	٨٩	١٢٥
	اخبار ثقافية	٩١	٩٤
	حول وضع القراءة في الاتحاد لسوفياتي والولايات المتحدة	٨٢	٩١

فنون ومسرح وسينما

بطراوي (ال) خالد	حوار مع الفنانين اميل عشراوي وجورج ابراهيم	٨١	٩٩
	نظرة على مسرحنا المحلي	٨٣	٩٧
	"فيلم التقرير" والبحث عن البديل في السينما العربية	٨٥	١٠٤
	حوار مع طاقم تغريب العبيد	٨٧	٩٢

Digitized by Birzeit University Library

بطراوي (ال) محمد	حوار مع طاقم تغريب العبيد	٨٧ ٩٣
جريري (ال) علي	في وداع التشكيلي الراحل "محمد صلاح"	١١
داوود محمد	مسرح البيركامو	٩١ ٥٥
دجاني (ال) امين حافظ	المسرح في الضفة الغربية و"ا لكاتب والشحاد" لمسرح الرحالة في الميزان.	٩٠ ٧٠
سلحوت (ال) جميل	حوار مع طاقم تغريب العبيد	٨٧ ٩٣
صبيح محمد	حوار مع الممثل الفلسطيني محمد بكري	٩٠ ٧٤
منصور قاسم	فيلم التقرير والبحث عن البديل في السينما العربية	٨٥ ١٠٤
كردي (ال)وسيم	حوار مع طاقم تغريب العبيد	٨٧ ٩٣
مركز يافا للتوثيق والاعلام	الحكواتي في كفر شما سياحة في مواضع الحنين	٨٨ ٩٧
—	التشكيليون الفلسطينيون يحتفون بعام السلام الدولي	٨٢ ١٠٣

تراث وتراث شعبي

خطيب (ال) محمود	حجاب المحبة والوفاق	٨٥ ٦٥
سلحوت (ال) جميل	اطلالة على مؤتمر القدس العالمي للتراث الشعبي الفلسطيني.	٩٠ ٦٤
صافي صافي	الفنون الشعبية بين الاصالة والتطوير	٩١ ٤٨
عطاونة (ال) عمر	موسم العنب في التراث الفلسطيني	٩٠ ٦٧

علوم وصحة عامة

اتحاد لجان الاغاثة الطبية الفلسطينية.	الاوضاع الصحية في قطاع غزة	٨٤ ٤٩
خضر سامي	التعاونيات الزراعية ومكانة المرأة "التجربة الفيتنامية" ترجمة.	٨٣ ٨٣
صراص (ال) عيسي	اينشتين - العلم والحضارة "ترجمة" الحلقة الاولى -	٨٩ ٩٣
	الحلقة الثانية -	٩٠ ٤١
كونتسون بوريس	اينشتين - العلم والحضارة - الحلقة الاولى -	٨٩ ٩٣
	الحلقة الثانية -	٩٠ ٤١
وايت كريستين بلبزر	التعاونيات الزراعية ومكانة المرأة - التجربة الفيتنامية -	٨٣ ٨٣

Digitized by Birzeit University Library

صحافـــة

عميرة حنا	الصحافة الفلسطينية بعد مرور عشرين سنة على الاحتلال	٨٦ ١٧٣

رياضـــة

خالدي (ال) د.عصام	الثقافة البدنية والرياضة في واقع الاشتراكية	٨٥ ٥٧

أدب

اسطة (ال) عادل	الارض في القصة الفلسطينية القصيرة	٩٠ ٤٩
اسعد (ال) اسعد	اطلالة على الحركة الادبية الفلسطينية في الارض المحتلة بعد عشرين عاما من الاحتلال.	٨٦ ١١٦
	كلمة الاتحاد -	٨٩ ٤
جريري (ال) علي	بين ادب الاعتراف وادب السيرة	٨٥ ٩٤
جوهر ابراهيم	الارض في القصة القصيرة الفلسطينية	٨٩ ٢٣
حبيبي اميل	اعطوا القوس باريها	٨٩ ٢٣
خماش (ال) د.امية	غوركي،عاش معاناة شعبه وبشر بانتصار الاشتراكية	٨٤ ٩٨
سلحوت (ال)جميل	ادب الشعب مرآه تعكس واقع الشعب	٨٩ ٣٩
شحادة د.محمد	ادب الاطفال في الارض المحتلة ١٩٦٧ - ١٩٨٧	٨٦ ١٤٥
شحروري صبحي	كلمة	٨٩ ١٢
مرعي تيسير	كلمة الجولان	٨٩ ١٨
ناطور سلمان	عن ذاكرة ابي حرب ،عن نبوءة المخيم	٨٩ ١٥
—	الادب الفلسطيني تحت الاحتلال	٨٩ ٣
	- المهرجان الوطني الثالث للادب الفلسطيني -	
—	البيان الختامي	٨٩ ٢٠

قصـة

		٩٠ ١٢٠
ابو النصر محمد	الضريح والكلب	٨٥ ١١٤
ابو عقاب عمر	القط خربوش والعجوز هندومة	٩٠ ١١٥
	عودة الطيور الدورية	٨٦ ٩١
بكر سلوى	بساط الريح	

Digitized by Birzeit University Library

بنورة جمال	فصل من رواية"ايام لا تنسى"	٨٨	١٠٧
حمش عمر	ازهار الى مقبرة المخيم	٨٤	١١٥
	قصص قصيرة جدا	٨٩	٧٠
	عن راشد وحزيران المخيم	٩٠	١٢٩
خفاجة عادل	ثلاث قصص للفقر	٨١	١٢٠
رجب محمد	مساحات الحزن والفرح	٨٩	٦٧
زعبي (ال) فيصل	ثلاث جلسات مع الذاكرة لا تكفي	٨٢	١٢١
سعد (ال) وضاح	الصديق الحق	٨٨	١١٨
شقير محمود	قصص قصيرة جدا للحرب الرشيقة قبل ان تنام	٨٤	١١٠
	قبل الظهيرة.. بعد المساء	٨٥	١٠٨
	سادة العواصم	٩٠	١٠٨
صادق (ال) هيثم	نسمات في صيف ماطر "خاطرة ولورادات من بلدي"	٩٠	١٠٨
ظاهر (ال) ناجي	اقصوصتان "خطوة الى الامام والافق البعيد"	٨٧	١١٦
عكاري منصور محمد	من صفحات مخيم	٨٣	١٠٧
	حمار وحمار	٩١	٩١
علم(ال)د.ابراهيم	السكوفية البيضاء	٨٨	١١٤
عيسه(ال) اسامة محيسن	احن اليك يا شمالية	٨٢	١٢٣
غيطان اشرف	شتاء	٨٧	١١٣
غوسكرجيان وليم	المدينة كبيرة وابنها لا يزال يحلم احلامه الصغيرة	٨١	١٢٣
	الزبون الاخر	٨٥	١١٢
مرار مصطفى	الجنازة	٩٠	١١٢
نبريص (ال) باسم	بيت الراحة	٨٨	١٢١

شعـــر

ابراهيم ربحي عبد القادر	ختام ومولاتي والرعيان	٩٠	١٠
ابو غزالة د.الهام	شعر المرأة في العالم الثالث	٩١	٨
ابو غوش ماجد	ثلاث قصائد	٩٠	٩
اسعد (ال) اسعد	دمي فدا خرائبك الباقية	٨٣	١١
	نمنمات على وجه الوطن	٨٤	١١
	لونك مطلوب فتشبث	٩٠	٨٩
آل رضوان محمد	دنانير السلطان دنانير جريمة	٨٢	١١٩
بغدادي (ال) شوقي	الى رجاء حسن ابو عماشة	٨٣	١١٢

Digitized by Birzeit University Library

بكري (ال) فوزي	رشة بلسم على الجرح العبقري	٨٩	٦٥
جريري (ال) علي	عالم صغير	٩٠	٩٣
جولاني(ال)نبيل	غرسنا على جماجم الطواغيت اعلامنا	٨٣	١١٤
حامد يوسف	دافع دفاع المستميت بزوبعه	٨٢	١١٥
حامد يوسف	لا مكان عندي لحزني	٨٩	٧٣
حداد موسى	الرحيل من الرحيل الى الحياة	٩١	٧٧
حسن عبد الحليم	وساعد اخر	٨٥	١٢١
حمزاتوف رسول	اللغة الام	٩١	٦٨
حنيني (ال) محمد	سأصير يا وطني.. قمر	٨٣	١١٦
داغر تيسير	رحيل القوافل	٨٣	١٢٣
رجب محمد	مساحات الحزن والفرح	٨٩	٦٧
رفاتي (ال) ايمان	انشودة السلام	٨٥	١٢٣
	رؤياك لا تنتهي	٩٠	١٠٣
روجيريستفنسكي روبرت	وقت سماع المذياع	٨٨	١٢٣
زبيدي (ال) صبحي	خيال المزغرتات	٨٣	١١٨
	شرف امي	٨٤	١٢٣
سالم سالم	ملصقات غير معنونة	٩٠	٩٨
سلفيتي (ال) راجح	ميجنا وعتابا	٨١	١١٥
	وصية الى ولدي احمد	٨٢	١١٠
شارلي برهان	قرية كردية	٨٢	١١٧
شريم محمد	رفيق الخريف	٨٧	١١٩
صلاحة مالك حسين	لولاك	٨٣	١٢٢
طقش عبد الحميد	اطلقت حوالي	٨٣	١١٩
	سبع زيارات لام السبعة ابطن	٨٩	٥٤
طمس سبيرو	الموت وقوفا	٨٢	١١٣
فحماوي (ال) محمد	اختمار	٨٥	١١٧
فرج سميح	اضرب حديدك ساخنا	٩٠	٩١
قاسم (ال) سميح	وله في الباب سقوط	٨٩	٤٥
قطوش عطاالله	صلاه على سنة الوطن	٨٤	١١٩
	انا وانت وهذا المستنقع اللزج	٨٧	١١٣
قطينة مالك	اخرج من الزمن الرديء	٨٥	١١٩
	وقت سماع المذياع "ترجمة"	٨٨	١٢٣
محمود اديب رفيق	لينا	٨٩	٦٠
محمود عادل	الحزن	٩١	٧٩
مكحل جميل	اغنية للدار	٨٨	١٢٥

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب		
نادي (ال) باسم	السجن والرحيل	٨٣ ١٢٤
نصر الله ابراهيم	نعمان يسترد لونه	٩١ ٧٤
هيجاوي (ال) باسم	سلمى واوجاع الحوار	٨١ ١١٦

نقد ومراجعة كتب وحوار

ابو شكر د.عبد الفتاح	فصول من كتاب الاوضاع الاجتماعية الاقتصادية لعمال الضفة الغربية وقطاع غزة في اسرائيل.	٩٠ ٥٧
باختين ميخائيل	"بعث" تحليل لرواية تولستوي	٨٧ ٦٨
براده محمد	"بعث" تحليل لرواية تولستوي (ترجمة)	٨٧ ٦٨
بيدس رياض	بعض من التفكير النمطي في الادب العبري	٨٨ ٩٣
زقوت صالح	تاريخ الحركة الشيوعية المصرية (١٩٥٧ - ١٩٦٥) للدكتور رفعت السعيد.	٨٤ ١٠٥
سعد (ال) وضاح	احداث تسعة عشر عاما من عمر المأساة الفلسطينية بين سطور تسع عشر قصة قصيرة جدا.	٨٢ ١٠٤
	العاجزون والقادرون في قبل الظهيرة وبعد المساء وللحرب الرشيقة قبل ان تنام.	٨٧ ١٠٧
سعيد (ال) عيسي	المسلك لرياض بيدس الواقعة تفوت السياق وتقود اللغة امام ظرف يستحيل افتعاله.	٩٠ ٨٥
سلام بشار	مقابلة مع الطاهر وطار	٨٢ ٨٦
عبدالله حسن	تجاور المعاصرة والقرون الوسطى	٨٧ ٨٦
يحيى عادل	التوراة جاءت من جزيرة العرب	٨١ ٩٤
—	حوار - لا تشفى الذاكرة ولو شفيت الجراح	٨٥ ٧١

متفرقـات

ابراهيم جلال	في الذكرى المئوية لميلاد جون ريد	٩١ ٤٦
ابو حقي	ابو العلاء.. صوت اخوان الصفا	٩١ ٦١
اسعد (ال) اسعد	د. حسين مروة شهيد الفكر التقدمي الانساني	٨٣ ٨٠
	رابطة الكتاب الاردنيين هدف جديد للسلطة الاردنية	٨٧ ١٤
	ناجي العلي، انت في القلب وجراحك جراح جيلنا	٨٨ ٨٨

Digitized by Birzeit University Library

رغوثي (ال) محرم	الكمسومول اللينيني السوفييتي في مؤتمره العشرين	٨٥	٤٢
زراوي (ال) محمد	هنري ونستون خالد ابدا في ضمير الطبقة العاملة		
	الحلقة الاولى	٨٤	٧٢
	الحلقة الثانية	٨٥	٣٢
	ساندينو ، بطل نيكاراغوا الوطني الخالد - ترجمة -		
	الحلقة الاولى	٨٨	٥
	الحلقة الثانية	٨٩	١١
	الكاتب السلفادوري ماتليو ارغويتا ،كاتب منفي من وطنه	٩٠	٥
صالحة محمود محمد	اغتيال الدكتور حسين مروه وصمة عار	٨٥	٨
ونسيكا كارلوس	ساندينو،بطل نيكاراغوا الوطني الخالد		
	الحلقة الاولى	٨٨	٥
	الحلقة الثانية	٨٩	١١
ياكوفليف يعقوب	الذكرى - انتفاضة السلوفاك الوطنية	٩١	٤
.	اتحاد الكتاب الفلسطينيين يستضيف الكاتب اميل حبيبي	٨٣	١٢
.	الى المحرر	٨٣	١٢
.	الى المحرر	٨٥	١٢
.	عبد الرحمن الخميسي ..	٨٥	٩
	وداعا شاعر الحب والثورة والربيع.		
.	بالارقام	٨٦	٢٢
.	بمناسبة الذكرى العشرين للاحتلال	٨٧	١٢
	لقاء في تل ابيب ضد الاحتلال ومن اجل حرية التعبير والابداع.		
.	الادب الفلسطيني تحت الاحتلال	٨٩	
	-المهرجان الوطني الثالث للادب الفلسطيني -		
.	جائزة فايز الصايغ	٨٩	١٢
.	من قاموس مصطلحات الاشتراكية العلمية	٩٠	٨
.	اتحاد الكتاب العرب في اسرائيل	٩٠	١٢

ملاحظة:

ظهر فهرس السنوات الخمس الاولى في العدد ٥٧
ظهر فهرس السنة السادسة في لعدد ٦٨
ظهر فهرس السنة السابعة في العدد ٨٠
الفهرس الحالي ، فهرس السنة الثامنة ٩٢

Digitized by Birzeit University Library

اتحاد الكتاب الفلسطينيين

يشارك في مؤتمر كتاب المانيا

ومهرجان الفيلم الوثائقي بلايبزيغ

غادرنا الشاعر اسعد الاسعد ،رئيس اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، للمشاركة في مؤتمر اتحاد كتاب المانيا الديموقراطية والذي عقد في الفترة ما بين ٢٤ ـ ٢٦ تشرين الثاني ، وذلك تلبية لدعوة من اتحاد الكتاب الالمان وبموجب البروتوكول الموقع بين الاتحادين في شهر نيسان المنصرم.

ومن جهة اخرى شارك الاسعد في مهرجان الفيلم الوثائقي الذي عقد في الفترة ما بين ٢٠ ـ ٢٦ تشرين الثاني.

* قسيمة اشتراك *

ارفق طيه صكاً / حوالة مصرفية بمبلغ ..... مدفوع لامر **مجلة الكاتب**

قيمة اشتراك واحد لمدة — على ان ترسل الى العنوان التالي:

الاسم Name

العنوان Adress

المدينة City

البلد Country

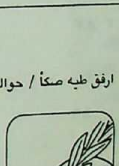

قيمة الاشتراك

للافراد	ستة اشهر	سنة	سنتين
الاشتراك المحلي	١٥ دولار	٢٥ دولار	٤٥ دولار
اوروبا	٢٥ دولار	٤٠ دولار	٧٠ دولار
بلدان اخرى	٣٠ دولار	٥٠ دولار	٩٠ دولار

للمؤسسات المحلية	٥٠ دولار
اوروبا	١٠٠ دولار
بلدان اخرى	١٥٠ دولار

الاشتراك السنوي

ترسل قسيمة الاشتراك مع قيمته الى العنوان التالي:

AL - KATEB.P.O.BOX 20489 EAST JERUSALEM.VIA ISRAEL

Digitized by Birzeit University Library

السلام يحمى العالم

عن بيبولز ديلي ويرلد - الولايات المتحدة الامريكية

Digitized by Birzeit University Library

٩٢
الكاتب
للثقافة الانسانية والتقدم

AL KATEB
For human culture

Editor
Asa'd Al-Asa'd
P.O.Box 20489
Jerusalem
Tel.856931

Digitized by Birzeit University Library